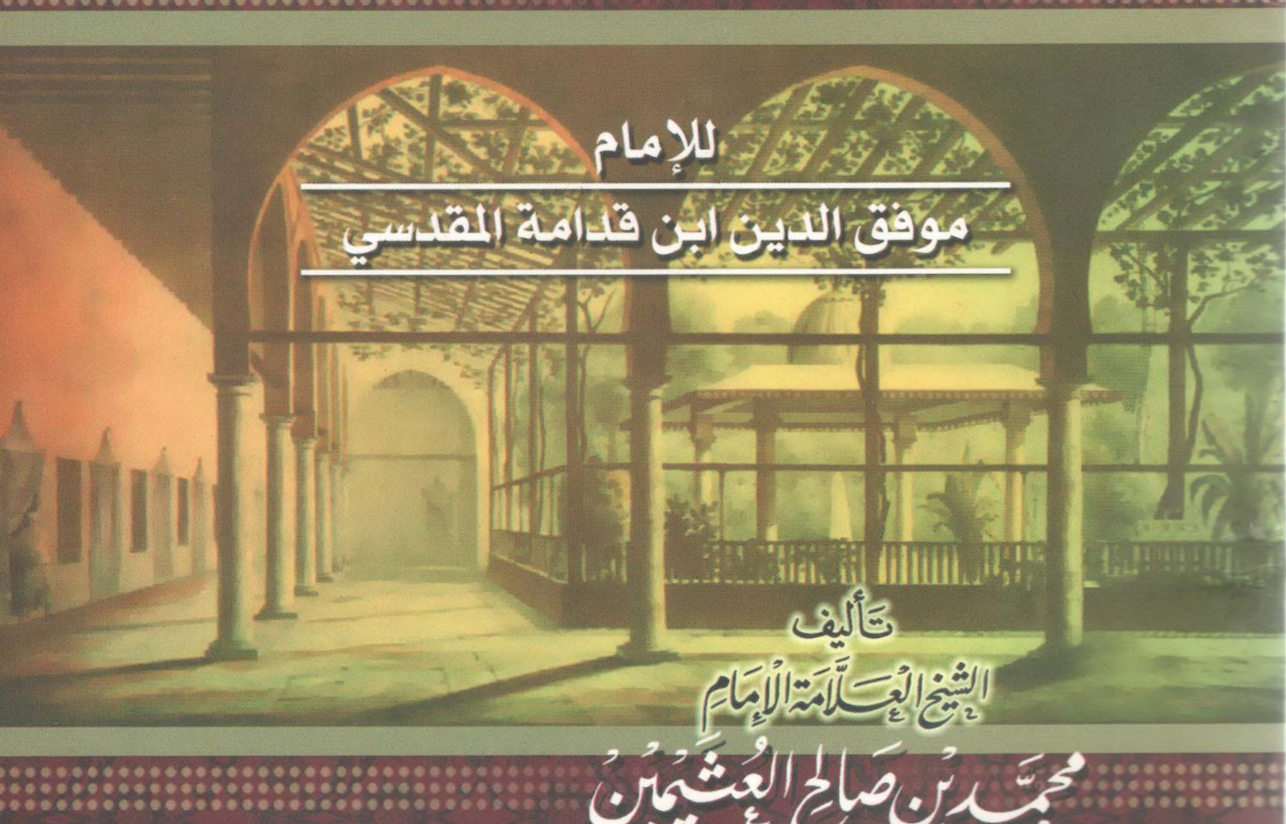
شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد



للإمام

موفق الدين ابن قدامة المقدسي

تأليف

الشيخ العلامة الإمام

محمد بن صالح العثيمين

ت ١٤٢١ هـ

دار ابن الجوزي

القاهرة

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

تأليف

موفق الدين ابن قدامة رحمه الله

شرح الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله

الناشـــر

دار ابن الجوزي



الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

رقم الإيداع ٢٣٢١٤ / ٢٠٠٥

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة

درب الأتراك خلف الجامع الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده رسوله، صلى اللَّه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذا تعليق مختصر على كتاب «لمعة الاعتقاد» الذى ألفه أبو محمد عبد اللَّه بن أحمد بن قدامة المقدسى، المولود فى شعبان سنة ٥٤١هـ بقرية من أعمال نَابُلس، المُتَوَفَّى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق رحمه اللَّه.

وهذا الكتاب جمَع فيه مؤلفُه زُبْدَةَ العقيدة، ومن ثَمَّ قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته فى مطلع القسم الثانوى فى المعاهد فى السنة الأولى منه؛ ليكون ركيزة يعتمد عليها فى هذه المرحلة.

ونظرًا لأهمية الكتاب موضوعًا ومنهجًا، وعدم وجود شرح له، فقد عقدت العزم - مستعينًا باللَّه مستلهمًا منه الصواب فى القصد والعمل - على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه، وتبين موارده، وتبرز فوائده.

واللَّه أرجو ألا يكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأن يمدنى بروح من عنده وتوفيق، وأن يجعل عملى مباركًا ونافعًا، إنه جوَاد كريم.



قواعد هامة فى الأسماء والصفات

وقبل الدخول فى صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته .

القاعدة الأولى : « فى الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة فى أسماء الله وصفاته » :

الواجب فى نصوص الكتاب والسنة إبقاءُ دلالتِها على ظاهرها من غير تغيير ؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، والنبى ﷺ يتكلم باللسان العربى ؛ فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هى عليه فى ذلك اللسان ، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم ؛ وهو حرام ؛ لقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] . فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقيتين ، فيجب إثبات ذلك له ، فإن قال قائل : المراد بهما القوة . قلنا له : هذا صرف للكلام عن ظاهره ، فلا يجوز القول به ؛ لأنه قول على الله بلا علم .

القاعدة الثانية : فى أسماء الله .

وتحت هذه القاعدة فروع :

الفرع الأول : أسماء الله كلها حسنى ، أى بالغة فى الحسن غايته ؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

مثال ذلك : « الرحمن » ، فهو اسم من أسماء الله تعالى ، دال على صفة عظيمة هى الرحمة الواسعة .

ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء اللَّه : « الدهر » ؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن ، فأما قوله ﷺ : « لا تسبوا الدهر ، فإن اللَّه هو الدهر »[١] فمعناه : مالك الدهر المتصرف فيه ، بدليل قوله فى الرواية الثانية عن اللَّه تعالى : « بيدى الأمر أقلب الليل والنهار »[٢] .

الفرع الثانى : أسماء اللَّه غير محصورة بعدد معين ؛ لقوله ﷺ فى الحديث المشهور : « أسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك »[٣] ، وما استأثر اللَّه به فى علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به .

والجمع بين هذا وبين قوله فى الحديث الصحيح : « إن للَّه تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »[٤] : أن معنى هذا الحديث : إن من أسماءِ اللَّه تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة . وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد ، ونظير هذا أن تقول : عندى مائة درهم أعددتها للصدقة . فلا ينافى أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة .

الفرع الثالث : أسماء اللَّه لا تثبت بالعقل ، وإنما تثبت بالشرع ، فهى توقيفية ، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص ؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ، فوجب الوقوف فى ذلك على الشرع ؛ ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه ، أو إنكار ما سمى به نفسه ، جناية فى حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب فى ذلك .

الفرع الرابع : كل اسم من أسماء اللَّه فإنه يدل على ذات اللَّه ، وعلى الصفة

---

(١) البخارى (٦١٨٢) ، ومسلم (٢٢٤٦) ، وأحمد ٥/ ٢٩٩، ٣١١.

(٢) البخارى (٦١٨١) ، ومسلم (٢٢٤٦) ، وأبو داود (٥٢٧٤) .

(٣) أحمد ١/ ٣٩١، ٤٥٢، والطبرانى (١٠٣٥٢) ، وابن حبان ٣/ ٣٧٢، والحاكم ١/ ٥٠٩، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩) .

(٤) البخارى (٢٧٣٦) ، ومسلم (١٧/ ٥) .

التى تضمنها ، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا ، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله .

مثال ذلك فى غير المتعدى : « العظيم » فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسمًا من أسماء اللّٰه دالًّا على ذاته تعالى ، وعلى ما تضمنه من الصفة وهى العظمة .

ومثال ذلك فى المتعدى : « الرحمن » ، فلا يتمُّ الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسمًا من أسماء اللّٰه دالًّا على ذاته تعالى ، وعلى ما تضمنه من الصفة وهى الرحمة ، وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء .

القاعدة الثالثة : « فى صفات اللّٰه » :

وتحتها فروع أيضا :

الفرع الأول : صفات اللّٰه كلها عُلْيَا ، صفات كمال ومدح ، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ؛ كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحكمة ، والرحمة ، والعلو ، وغير ذلك ، لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] . ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته .

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهى ممتنعة فى حقه ؛ كالموت ، والجهل ، والعجز ، والصمم ، والعمى ، ونحو ذلك ؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ، ونزَّه نفسَه عمَّا يصفونه به من النقائص ، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصا ، لمنافاة النقص للربوبية .

وإذا كانت الصفة كمالا من وجه ونقصا من وجه ، لم تكن ثابتة للّٰه ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق ، بل لابد من التفصيل ، فتثبت للّٰه فى الحال التى تكون كمالا ، وتمتنع فى الحال التى تكون نقصا ؛ كالمكر ، والكيد ، والخداع ، ونحوها فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت فى مقابلة مثلها ؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله ، وتكون نقصا فى غير هذه الحال ، فتثبت للّٰه فى الحال الأولى دون الثانية .

قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦] ، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] . إلى غير ذلك .

فإذا قيل: هل يوصف اللَّه بالمكر مثلا ؟

فلا تقل: نعم ، ولا تقل: لا ، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك ، واللَّه أعلم .

الفرع الثاني: صفات اللَّه تنقسم إلى قسمين: ثبوتية ، وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها اللَّه لنفسه ؛ كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، ويجب إثباتها للَّه على الوجه اللائق به ؛ لأن اللَّه أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته .

والسلبية: هي التي نفاها اللَّه عن نفسه ، كالظلم ، فيجب نفيها عن اللَّه ؛ لأن اللَّه نفاها عن نفسه ، لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها للَّه على الوجه الأكمل ؛ لأن النفي لا يكون كمالا حتى يتضمن ثبوتا .

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] . فيجب نفي الظلم عن اللَّه مع اعتقاد ثبوت العدل للَّه على الوجه الأكمل .

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية ، وفعلية .

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها ، كالسمع والبصر .

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، كالاستواء على العرش ، والمجيء .

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين ، كالكلام ، فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية ؛ لأن اللَّه لم يزل ولا يزال متكلما ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ؛ لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء .

الفرع الرابع: كل صفة من صفات اللَّه فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية ؟ ولماذا ؟

السؤال الثانى : هل يجوز تكييفها ؟ ولماذا ؟

السؤال الثالث : هل تماثل صفات المخلوقين ؟ ولماذا ؟

فجواب السؤال الأول : نعم حقيقية ؛ لأن الأصل فى الكلام الحقيقة ، فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها .

وجواب الثانى : لا يجوز تكييفها ؛ لقولـه تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] . ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات اللَّه .

وجواب الثالث : لا تماثل صفات المخلوقين ؛ لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، ولأن اللَّه مُسْتَحِقٌّ للكمال الذى لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص .

والفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل ، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل .

مثال التمثيل : أن يقول قائل : يد اللَّه كيد الإنسان .

ومثال التكييف : أن يتخيل ليد اللَّه كيفية معينة لا مثيل لها فى أيدى المخلوقين ، فلا يجوز هذا التخيل .

القاعدة الرابعة : فيما نرد به على المعطلة .

المعطلة هم الذين ينكرون شيئًا من أسماء اللَّه أو صفاته ، ويحرفون النصوص عن ظاهرها ، ويقال لهم : « المئولة » ، والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول : إن قولهم خلاف ظاهر النصوص ، وخلاف طريقة السلف ، وليس عليه دليل صحيح ، وربما يكون فى بعض الصفات وجه رابع أو أكثر .



مقدمة لمعة الاعتقاد

قال الشيخ الإمام العالم الأوحد، شرف الإسلام، مفتي الفرق، قدوة الأنام، أوحد الزمان، موفقُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قدامةَ المقدسِيُّ - قدَّس اللَّهُ تعالى روحَه ونوَّر ضريحَه -:

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

« لمعة الاعتقاد »:

« اللمعة »: تطلق في اللغة على معانٍ منها: البلغة من العيش[1]، وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب، فمعنى لمعة الاعتقاد هنا: البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان اللَّه عليهم. والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

ما تضمنته خطبة الكتاب:

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

١- البداءة بالبسملة، اقتداءً بكتاب اللَّه العظيم، واتباعا لسنة رسول اللَّه ﷺ.

ومعنى « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ »: أي أفعل الشيء مستعينا ومتبركا بكل اسم من أسماء اللَّه تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة.

ومعنى « اللَّهِ »: المألوه أي، المعبود حبا وتعظيما وتألها وشوقا.

و« الرَّحْمَنِ »: ذو الرحمة الواسعة.

و« الرَّحِيمِ »: الموصل رحمته من شاء من خلقه.

فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفا له، والثاني باعتبارها فعلا له يوصلها من شاء من خلقه.

---

(١) البلغة من العيش: ما يتبلغ به، وتبلغ بكذا أي اكتفى به. (مختار الصحاح ١/٢٦).

١- الحمدُ للَّهِ المحمودِ بكلِّ لسانٍ ، المعبودِ في كلِّ زمانٍ ، الذى لا يَخْلُو من علمِه مكانٌ ، ولا يَشغَلُه شانٌ عن شانٍ ، جلَّ عن الأشباهِ والأندادِ ، وتَنَزَّه عن الصاحِبَةِ والأولادِ ، ونفَذ حكمُه فى جميعِ العبادِ ، لا تَمثلُه العقولُ بالتفكيرِ ، ولا تَتَوَهَّمُه القلوبُ بالتصويرِ ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

٢- له الأسماءُ الحسنَى والصفاتُ العُلَى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه : ٥ - ٧] . أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا ، وقهَر كلَّ مخلوقٍ

٢- الثناء على اللَّه بالحمد ، والحمد : ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم .

٣- أن اللَّه محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان ، أى مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة .

٤- سعة علم اللَّه بكونه لا يخلو من علمه مكان ، وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر .

٥- عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل ؛ لكمال صفاته من جميع الوجوه .

٦- تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد ، وذلك لكمال غناه .

٧- تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه فى جميع العباد ، فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال .

٨- عظمة اللَّه فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلا ، ولا تتوهم القلوب له صورة ؛ لأن اللَّه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٩- اختصاص اللَّه بالأسماء الحسنى والصفات العلى .

١٠- استواء اللَّه على عرشه ، وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به .

١١- عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

عِزَّةً وحُكْمًا ، ووسِع كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] . موصوفٌ بما وصَف به نفسَه فى كتابِه العظيمِ ، وعلى لسانِ نَبِيِّه الكريمِ .

فصل فى توحيد الأسماء والصفات

٣- وكلُّ ما جاء فى القرآنِ ، أو صَحَّ عن المصطفَى عليه السلامُ من صفاتِ الرحمنِ ، وجَب الإيمانُ به ، وتَلَقِّيهِ بالتسليمِ والقبولِ ، وتَرْكُ التعرضِ له بالردِّ والتأويلِ ، والتشبيهِ والتَمثيلِ .

٤- وما أَشْكَلَ من ذلك وجَب إثْباتُه لفظًا ، وتَرْكُ التعرضِ لمعناه ، ونردُّ علمَه إلى قائلِه ، ونجعلُ عُهْدَتَه على ناقلِه ، اتباعًا لطريقِ الراسخين فى العلمِ الذين أثنَى اللَّهُ

١٢- سعة علمه ، وقوة قهره وحكمه ، وأن الخلق لا يحيطون به علما لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة .

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها :

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة فى الصفات إلى قسمين :

واضح جَلِيٍّ ، ومُشْكِلٌ خَفِيٌّ .

فالواضح : ما اتَّضح لفظُه ومعناه ، فيجب الإيمان به لفظًا ، وإثبات معناه حقًّا بلا ردٍّ ولا تأويلٍ ، ولا تشبيهٍ ولا تمثيل ؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به ، وتلقيه بالقبول والتسليم .

وأما المشكل : فهو ما لم يتضح معناه لإجمال فى دلالته ، أو قصر فى فهم قارئه ، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به ، والتوقف فى معناه وترك التعرض له ؛ لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه ، فنرد علمه إلى اللَّه ورسوله .

وقد انقسمت طرق الناس فى هذا المشكل إلى طريقتين :

الطريقة الأولى : طريقة الراسخين فى العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا :

عليهم فى كتابِه المبينِ بقولِه سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عِمران: ٧] .

٥- وقال فى ذمِّ مُبتَغِى التأويلِ لمتشابِه تنزيلِه : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . فجعَل ابتغاءَ التأويلِ علامةً على الزَّيْغِ ، وقَرَنَه بابتغاءِ الفتنةِ فى الذمِّ ، ثم حجَبهم عما أمَّلوه ، وقطَع أطماعَهم عمَّا قصَدوه ، بقولِه سبحانَه : ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

كل من عند ربنا ، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به ، تعظيما للَّه ورسوله وتأدبا مع النصوص الشرعية ، وهم الذين أثنى اللَّه عليهم بقوله : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ .

الطريقة الثانية : طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلبا للفتنة وصدا للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح ، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده اللَّه ورسوله ، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض ، وحاولوا الطعن فى دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين فى دلالتها ويعموهم عن هدايتها ، وهؤلاء هم الذين ذمهم اللَّه بقوله : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

تحرير القول فى النصوص من حيث الوضوح والإشكال :

إن الوضوح والإشكال فى النصوص الشرعية أمر نسبى ، يختلف فيه الناس بحسب العلم والفهم ، فقد يكون مشكلا عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر ، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط فى معناه .

أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد اللَّه ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم ؛ لأن اللَّه وصف القرآن بأنه نور مبين ، وبيان للناس ، وفرقان ، وأنه أنزله تبيانا لكل شىء ، وهدًى ورحمة ، وهذا يقتضى

....

ألا يكون فى النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع ، بحيث لا يمكن أحدا من الأمة معرفة معناه .

معنى الرد ، والتأويل ، والتشبيه ، والتمثيل ، وحكم كل منها

الرد : التكذيب والإنكار . مثل أن يقول قائل : ليس للّه يد لا حقيقة ولا مجازا . وهو كفر لأنه تكذيب للّه ورسوله .

والتأويل : التفسير ، والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد اللّه بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان .

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون صادرا عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله ، فهذا معفو عنه ؛ لأن هذا منتهى وسعه ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] .

الثانى : أن يكون صادرا عن هوى وتعصب ، وله وجه فى اللغة العربية ، فهو فسق وليس بكفر ، إلا أن يتضمن نقصا أو عيبا فى حق اللّه فيكون كفرا .

القسم الثالث : أن يكون صادرا عن هوى وتعصب وليس له وجه فى اللغة العربية ، فهذا كفر ؛ لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له .

والتشبيه : إثبات مشابه للّه فيما يختص به من حقوق أو صفات ، وهو كفر ؛ لأنه من الشرك باللّه ، ويتضمن النقص فى حق اللّه حيث شبهه بالمخلوق الناقص .

والتمثيل : إثبات مماثل للّه فيما يختص به من حقوق أو صفات ، وهو كفر ؛ لأنه من الشرك باللّه وتكذيب لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشّورى: ١١] . ويتضمن النقص فى حق اللّه حيث مثله بالمخلوق الناقص .

والفرق بين التمثيل والتشبيه : أن التمثيل يقتضى المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه .

فصل فى كلام أئمة السلف فى الصفات

٦- قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ - رضى اللَّه عنه - فى قولِ النبىِّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إلى سماءِ الدنيا»[(١)]، و«إنَّ اللَّهَ يُرَى فى القيامةِ»[(٢)]، وما أشبَه هذه الأحاديثَ: نُؤْمِنُ بها، ونُصَدِّقُ بها، لا كيفَ ولا معنَى، ولا نَرُدُّ شيئًا منها، ونعلمُ أن ما جاء به الرسولُ حقٌّ، ولا نَرُدُّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا نَصِفُ اللَّهَ بأكثرَ ممَّا وصَف به نفسَه، بلا حدٍّ ولا غايةٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ونقولُ كما قال، ونصفُه بما وصَف

ما تضمنه كلام الإمام أحمد فى أحاديث النزول وشبهها:

تضمن كلام الإمام أحمد رحمه اللَّه الذى نقله عنه المؤلف ما يأتى:

١- وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول اللَّه ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

٢- أنه لا كيف ولا معنى؛ أى لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع؛ لما سبق، وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقا، وكل شىء ثابت فلابد له من كيفية، لكن كيفية صفات اللَّه غير معلومة لنا.

وقوله: ولا معنى. أى: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل، وليس مراده نفى المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذى فسرها به السلف فإن هذا ثابت.

ويدل على هذا قوله: «ولا نرد شيئًا منها، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نعلم كيفية كنه ذلك». فإن نفيه لرد شىء منها، ونفيه لعلم كيفيتها، دليل على إثبات المعنى المراد بها.

---

(١) سيأتى تخريجه ص٢٧.

(٢) صحيح ابن حبان ١/ ٢٥٩، والتمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٢٠.

به نفسَه ، لا نَتَعَدَّى ذلك ، ولا يَبْلُغُه وصفُ الواصفين ، نؤمنُ بالقرآنِ كلِّه مُحْكَمِه ومُتشابِهِه ، ولا نُزيلُ عنه صفةً من صفاتِه لشناعةٍ شَنُعَتْ ، ولا نتعدَّى القرآنَ والحديثَ ، ولا نعلمُ كيفَ كُنْهُ ذلك إلا بتصديقِ الرسولِ ﷺ وتثبيتِ القرآنِ .

٧- قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّه محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ - رضى اللَّه عنه - : آمنتُ باللَّهِ وبما جاء عن اللَّهِ على مرادِ اللَّهِ ، وآمنتُ برسولِ اللَّهِ وبما جاء عن رسولِ اللَّهِ على مرادِ رسولِ اللَّهِ .

٨- وعلى هذا درَج السلفُ ، وأئمةُ الخلفِ ، رضى اللَّه عنهم ، كلُّهم مُتَّفِقُون على الإقرارِ والإمرارِ والإثباتِ لما ورَد من الصفاتِ فى كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِه ، من غيرِ تَعَرُّضٍ لتأويلِه .

٣- وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه ، وهو ما اتضح معناه ، ومتشابهه وهو ما أشكل معناه ، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه ، فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظا ، وتفويض معناه إلى اللَّه تعالى .

● ما تضمنه كلام الإمام الشافعى :

تضمن كلام الإمام الشافعى ما يأتى :

١- الإيمان بما جاء عن اللَّه تعالى فى كتابه المبين على ما أراده اللَّه من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

٢- الإيمان بما جاء عن رسول اللَّه ﷺ فى سنة رسول اللَّه ﷺ ، على ما أراده رسول اللَّه ﷺ ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

وفى هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل ؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن اللَّه ورسوله على مراد اللَّه ورسوله ، فإن أهل التأويل نقصوا ، وأهل التمثيل زادوا .

طريق السلف الذى درجوا عليه فى الصفات :

الذى درج عليه السلف فى الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات اللَّه

فصل فى الترغيب فى السنة والتحذير من البدعة

٩- وقد أُمِرْنا بالاقتفاءِ لآثارِهم ، والاهتداءِ بمنارِهم ، وحُذِّرنا المحدثاتِ ، وأُخْبِرنا أنها من الضلالاتِ .

فقال النبىُّ ﷺ : « عليكم بسُنَّتى وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المَهْدِيِّين من بعدِى ،

تعالى فى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد اللَّه ورسوله .

والاقتداء بهم فى ذلك واجب ؛ لقوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ». رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وقال : حسن صحيح . وصححه الألبانى وجماعة[1] .

السنة والبدعة وحكم كل منهما :

السنة لغة : « الطريقة » .

واصطلاحًا : « ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل » .

واتباع السنة واجب ؛ لقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وقوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » .

والبدعة لغة : « الشىء المستحدث » .

واصطلاحًا : « ما أحدث فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل » .

---

(١) أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذى (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢- ٤٤) ، وأحمد ٤/١٢٦) ، وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٤٥٥) .

عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ ، فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ » .

وقال عبدُ اللَّه بنُ مسعودٍ - رضى اللَّه عنه - : « اتَّبعوا ولا تَبْتَدِعُوا ، فقد كُفِيتُم »[1] .

وهى حرام ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١١٥] .

وقوله ﷺ : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

الآثار الواردة فى الترغيب في السنة والتحذير من البدعة :

١- من أقوال الصحابة :

قال ابن مسعود رضى اللَّه عنه الصحابى الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة :

« اتبعوا » : أى التزموا آثار النبى ﷺ من غير زيادة ولا نقص .

« ولا تبتدعوا » : لا تحدثوا بدعة فى الدين .

« فقد كفيتم » : أى كفاكم السابقون مهمة الدين ، حيث أكمل اللَّه تعالى الدين لنبيه ﷺ ، وأنزل قوله : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المَائدة: ٣] .

فلا يحتاج الدين إلى تكميل .

٢- من أقوال التابعين :

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المولود سنة ٦٣هـ المتوفى سنة ١٠١هـ قولا يتضمن ما يأتى :

أ- وجوب الوقوف حيث وقف القوم - يعنى بهم النبى ﷺ وأصحابه - فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملًا ، لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة ، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى .

---

(١) سنن الدارمي (٢٠٥) ، والمعجم الكبير (٨٧٧٠) ، وشعب الإيمان (٢٢١٦) .

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ - رضى اللّه عنه - كلامًا معناه : قِفْ حيثُ وقَف القومُ ؛ فإنهم عن علمٍ وقَفوا ، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا ، ولَهم على كَشْفِها كانوا أقوَى ، وبالفضلِ لو كان فيها أحرَى ، فلئِنْ قُلْتُم : حدَث بعدهم ، فما أحدَثه إلا مَن خالَف هَدْيَهم ، ورغِب عن سنتِهم ، ولقد وصَفوا منه ما يشفِى ، وتَكَلَّمُوا منه بما يكفِى ، فما فوقَهم مُحسِّرٌ ، وما دونهم مُقَصِّرٌ ، لقد قصَّر عنهم قومٌ فجَفَوا ، وتجاوزَهم آخرون فَغَلَوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلَى هدًى مستقيمٍ .

وقال الإمامُ أبو عمرٍو الأوزاعِىُّ - رضى اللّه عنه - : عليك بآثارِ مَن سلَف وإن رفَضَك الناسُ ، وإيَّاك وآراءَ الرجالِ وإن زَخْرَفُوه لك بالقولِ .

ب- أن ما أحدث بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم ، والزهد فى سنتهم ، وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفى ، وتكلموا فيه بما يكفى .

جـ- أن من الناس من قصر فى اتباعهم فكان جافيا ، ومن الناس من تجاوز فكان غاليا ، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير .

٣- من أقوال تابعى التابعين :

قال الأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧هـ :

(عليك بآثار من سلف) : الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ؛ لأنها مبنية على الكتاب والسنة .

(وإن رفضك الناس) : أبعدوك واجتنبوك .

(وإياك وآراء الرجال) : احذر أراء الرجال ، وهى ما قيل بمجرد الرأى من غير استناد إلى كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ .

(وإن زخرفوه) : جملوا اللفظ وحسنوه، فإن الباطل لا يعود حقًّا بزخرفته وتحسينه .

مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمى وصاحب بدعة :

لم أطلع على ترجمة للأدرمى ومن معه ، ولا أعلم نوع البدعة المذكورة ، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقا لكيفية المناظرة بين الخصوم . وقد بنى

وقال محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأذْرَمِيُّ لرجلٍ تكلَّم ببدعةٍ ودعا الناسَ إليها : هل عَلِمها رسولُ اللَّه ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ ، أو لم يَعلمُوها ؟ قال : لم يَعْلَمُوها . قال : فشيءٌ لم يَعلمْه هؤلاء عَلِمْتَه ؟ قال الرجلُ : فإنِّي أقولُ : قد عَلِمُوها . قال : أفوسِعهم ألا يَتَكَلَّمُوا به ، ولا يَدْعُوا الناسَ إليه ، أم لم يَسَعْهم ؟ قال : بلى ، وَسِعَهم . قال : فشيءٌ وسِع رسولَ اللَّه ﷺ وخلفاءَه ، لا يَسَعُك أنت ؟ فانقَطع الرجلُ ، فقال الخليفةُ - وكان حاضرًا - : لا وسَّع اللَّهُ على مَن لم يَسَعْه ما وسِعهم .

الأدرمى رحمه اللَّه مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التى تليها حتى يفحم خصمه .

المرحلة الأولى : « العلم » فقد سأله الأدرمى : هل علم هذه البدعة النبى ﷺ وخلفاؤه ؟ قال البدعى : لم يعلموها .

وهذا النفى يتضمن انتقاص النبى ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين ، ومع ذلك فهو حجة على البدعى إذا كانوا لا يعلمونه ، ولذلك انتقل به الأدرمى إلى :

المرحلة الثانية : إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت ؟ هل يمكن أن يحجب اللَّه عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شىء من الشريعة ويفتحه لك ؟

فتراجع البدعى وقال : أقول : قد علموها .

فانتقل به إلى :

المرحلة الثالثة : إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم ، أى أمكنهم ألا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟

فأجاب البدعى بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام .

فقال له الأدرمى : فشىء وسع رسول اللَّه ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت ، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب ؛ لأن الباب انسدَّ أمامه .

وهكذا من لم يَسَعَه ما وسِع رسولَ اللَّه ﷺ وأصحابَه والتابعين لهم بإحسانٍ ، والأئمةَ من بعدِهم ، والراسخين فى العلم ، من تلاوةِ آياتِ الصفاتِ ، وقراءةِ أخبارِها ، وإمرارِها كما جاءتْ ، فلا وسَّع اللَّه عليه .



فصوب الخليفة رأى الأدرمى ، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبى ﷺ وخلفاءه .

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها لا بد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب .



فصل في ذكر بعض آيات الصفات

١٠- فمِمَّا جاء من آياتِ الصفاتِ :

قولُ اللَّه تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

الصفات التى ذكرها المؤلف من صفات اللَّه تعالى

ذكر المؤلف رحمه اللَّه من صفات اللَّه الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف .

الصفة الأولى : « الوجه » :

الوجه ثابت للَّه تعالى بدلالة الكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال اللَّه تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ .

وقال النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص : « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه اللَّه إلا أُجرت عليها »[١] . متفق عليه .

وأجمع السلف على إثبات الوجه للَّه تعالى .

فيجب إثباته له بدون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو وجه حقيقى يليق باللَّه .

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .



---

(١) البخارى (٦٧٣٣) ، ومسلم (١٦٢٨) ، وأبو داود (٢٨٦٤) ، والترمذى (٢١١٦) .

وقولُه سبحانَه وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] .

الصفة الثانية : « اليدان » .

اليدان من صفات اللّه الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال اللّه تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ .

وقال النبى ﷺ : « يمين اللّه ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار » إلى قوله : « بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض »[١] . رواه مسلم والبخارى معناه .

وأجمع السلف على إثبات اليدين للّه ، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وهما يدان حقيقيتان للّه تعالى يليقان به .

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة ، وبوجه رابع أن فى السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعا كقوله تعالى : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] . وقوله ﷺ : « وبيده الأخرى القبض » .

الأوجه التى وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها :

الأول : الإفراد : كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١] .

الثانى : التثنية : كقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ .

الثالث : الجمع : كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١] .

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول :

الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت للّه من يد ولا ينافى الثنتين ، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذى هو ثلاثة فأكثر ، وحينئذ لا ينافى التثنية ، على أنه قد قيل : إن أقل الجمع اثنان ، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلا .

---

(١) البخارى (٧٤١٩، ومسلم (٩٣٣)، والترمذى (٣٠٤٥) ، وابن ماجه (١٩٧) .

وقولُه تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المَائدة: ١١٦] .

وقولُه سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفَجر: ٢٢] .

وقولُه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠] .

الصفة الثالثة: « النفس ».

النفس ثابتة للّٰه تعالى بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال اللّٰه تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعَام: ٥٤] . وقال عن عيسى أنه قال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ .

وقال النبي ﷺ: « سبحان اللّٰه وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته ». رواه مسلم(١) .

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به، فيجب إثباتها للّٰه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الصفة الرابعة: « المجيء ».

مجيء اللّٰه للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ . و ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ .

وقال النبي ﷺ: « حتى إذا لم يبق إلا من يعبد اللّٰه أتاهم رب العالمين ». متفق عليه(٢) . في حديث طويل.

وأجمع السلف على ثبوت المجيء للّٰه تعالى.

فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو مجيء حقيقي يليق باللّٰه تعالى.

---

(١) مسلم (٢٧٢٦)، وأبو داود (١٥٠٣)، والنسائي (١٦١).

(٢) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

وقوله تعالى : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المَائدة: ١١٩] .

وقوله تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤] .

وقد فسره أهل التعطيل بمجىء أمره . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

الصفة الخامسة : « الرضا » .

الرضا من صفات اللَّه الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال اللَّه تعالى : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ .

وقال النبى ﷺ : « إن اللَّه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » . رواه مسلم(١) .

وأجمع السلف على إثبات الرضا للَّه تعالى ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو رضا حقيقى يليق باللَّه تعالى ، وقد فسره أهل التعطيل بالثواب . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

الصفة السادسة : « المحبة » .

المحبة من صفات اللَّه الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال اللَّه تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ .

وقال النبى ﷺ يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب اللَّه ورسوله ، ويحبه اللَّه ورسوله » . متفق عليه(٢) .

وأجمع السلف على ثبوت المحبة للَّه ، يُحِب ، ويُحَب .

فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

---

(١) مسلم (٢٧٣٤) ، والترمذى ٣/ ١٠٠ ، ١١٧ .

(٢) البخارى (٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٥) ، وأحمد ٥/ ٣٣٣ .

وقوله في الكفارِ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤] .

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨] .

وهى محبة حقيقية تليق بالله تعالى، وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب، والرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة.

الصفة السابعة: «الغضب».

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمنا متعمدا: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] .

وقال النبى ﷺ: «إن الله كتب كتابًا عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى». متفق عليه[١] .

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله، فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو غضب حقيقى يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام، ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أى أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] . فجعل الانتقام نتيجة للغضب، فدل على أنه غيره.

الصفة الثامنة: «السخط».

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾.

وكان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك ...». الحديث رواه مسلم[٢] .

---

(١) البخارى (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، وأحمد ٢/ ٢٤٢، ٢٥٨.

(٢) مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذى (٣٤٩٣/٧٦).

وقوله تعالى : ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] .



وأجمع السلف على ثبوت السخط للَّه فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو سخط حقيقى يليق باللَّه ، وفسره أهل التعطيل بالانتقام . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

الصفة التاسعة : « الكراهة » .

الكراهة من اللَّه لمن يستحقها ثابتة بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ .

وقال النبى ﷺ : « إن اللَّه كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . رواه البخارى[1] .

وأجمع السلف على ثبوت ذلك للَّه فيجب إثباته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهى كراهة حقيقية من اللَّه تليق به ، وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

---

(١) البخارى (١٤٧٧) ، ومسلم (٥٩٣) ، وأحمد ٤/ ٢٤٦.

فصلٌ فى ذكرِ بعضِ أحاديثِ الصفاتِ

١١- ومن السُّنَّةِ :

قولُه ﷺ : « يَنْزِلُ ربُّنا تبارَك وتعالَى كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا »[١] .

وقولُه ﷺ : « يَعْجَبُ ربُّك من الشابِّ لَيْسَتْ له صبوةٌ »[٢] .

الصفة العاشرة : « النزول » .

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة ، وإجماع السلف .

قال النبى ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ... » الحديث متفق عليه .

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو نزول حقيقى يليق بالله ، وفسره أهل التعطيل بنزول أمره ، أو رحمته ، أو ملك من ملائكته ، ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة ، وبوجه رابع : أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول : من يدعونى فأستجيب له ... إلخ .

الصفة الحادية عشرة : « العجب » .

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : (بَلْ عَجِبْتُ ويَسْخَرون) . على قراءة ضم التاء .

وقال النبى ﷺ : « يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة » رواه أحمد وهو فى « المسند » (٤/١٥١) عن عقبة بن عامر مرفوعا وفيه ابن لهيعة .

---

(١) البخارى (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) ، وأبو داود (١٣١٥) ، والترمذى (٧٩)/ ٣٤٩٨.

(٢) أحمد ١٥١/٤، والطبرانى ٨٥٣/١٧، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٦٥٨) .

وقولُه : « يَضْحَكُ اللهُ إلى رَجُلَيْن قتَل أحدُهما الآخرَ ثم يَدْخُلان الجنةَ »[(١)] .

فهذا وما أشبهَه ممَّا صحَّ سندُه وعُدِّلَت روايتُه نُؤمنُ به ، ولا نَرُدُّه ، ولا

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله .

فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو عجب حقيقى يليق بالله ، وفسره أهل التعطيل بالمجازاة ، ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

والعجب نوعان :

أحدهما : أن يكون صادرا عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه ، وهذا النوع مستحيل على الله ؛ لأن الله لا يخفى عليه شىء .

الثانى : أن يكون سببه خروج الشىء عن نظائره ، أو عما ينبغى أن يكون عليه مع علم المتعجب ، وهذا هو الثابت لله تعالى .

الصفة الثانية عشرة : « الضحك » .

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة ، وإجماع السلف .

قال النبى ﷺ : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، ثم يدخلان الجنة » . وتمام الحديث : « يقاتل فى سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » . متفق عليه .

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو ضحك حقيقى يليق بالله تعالى ، وفسره أهل التعطيل بالثواب .

ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة .

---

(١) البخارى (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) .

نَجْحَدُه ، ولا نتأوَّلُه بتأويلٍ يُخالِفُ ظاهرَه ، ولا نُشَبِّهُه بصفاتِ المخلوقين ، ولا بسِمات المُحْدِثين ، ونعلمُ أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالَى لا شَبِيهَ له ولا نظيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، وكلُّ ما يُخَيَّلُ فى الذِّهْنِ أو خَطَرَ بالبالِ ، فإنَّ اللهَ تعالَى بخلافِه .

ومن ذلك :

قولُه تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] .

الصفة الثالثة عشرة : « الاستواء على العرش » .

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ . وذكر استواءه على عرشه فى سبعة مواضع من القرآن .

وقال النبى ﷺ : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتى سبقت غضبى » رواه البخارى .

وقال النبى ﷺ فيما رواه أبو داود فى « سننه » : « إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة » . إلى أن قال فى العرش : « بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك »[(١)] وأخرجه أيضا الترمذى ، وابن ماجه ، وفيه علة أجاب عنها ابن القيم رحمه الله فى « تهذيب سنن أبى داود » (٧/٩٢- ٩٣) .

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه .

فيجب إثباته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

---

(١) أبو داود (٤٧٢٣- ٤٧٢٥) ، والترمذى (٣٢٩٨) ، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة .

وقولُه تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] .

وهو استواء حقيقى ، معناه : العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى .

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء . ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة ونزيد وجها رابعا : أنه لا يعرف فى اللغة العربية بهذا المعنى . ووجها خامسا : أنه يلزم عليه لوازم باطلة ، مثل أن العرش لم يكن ملكا لله ثم استولى عليه بعد .

والعرش لغة : السرير الخاص بالملك .

وفى الشرع : العرش العظيم الذى استوى عليه الرحمن جل جلاله ، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها ، وصفه الله بأنه عظيم ، وبأنه كريم ، وبأنه مجيد .

والكرسى غير العرش ؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى ، والكرسى موضع قدميه ؛ لقول ابن عباس رضى الله عنهما : « الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر أحد قدره »[١] . رواه الحاكم فى « مستدركه » ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

الصفة الرابعة عشرة : « العلو » .

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] .

وكان النبى ﷺ يقول فى صلاته فى السجود : « سبحان ربى الأعلى »[٢] . رواه مسلم من حديث حذيفة .

وأجمع السلف على إثبات العلو لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وهو علو حقيقى يليق بالله .

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/٢٨٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٢) مسلم (٧٧٢) ، والترمذى (٢٦٢) ، والنسائى (٢/١٩٠) .

وقولُ النبيِّ ﷺ : « ربُّنا اللهُ الذى فى السماءِ تقدَّس اسمُك »[١] .

وقال للجاريةِ : « أين اللهُ ؟ » قالت : فى السماءِ . قال : « أعْتِقْها ؛ فإنهَّا مؤمنةٌ »[٢] . رواه مالكُ بنُ أنسٍ ، ومسلمٌ ، وغيرُهما من الأئمةِ .

وقال النبيُّ ﷺ لحصينٍ : « كم إلهًا تَعْبُدُ » ؟ قال : سبعةً ؛ سِتَّةً فى الأرضِ

وينقسم إلى قسمين :

علو صفة : بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، ودليله ما سبق .

وعلو ذات : بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ، ودليله مع ما سبق :

قوله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] .

وقول النبى ﷺ : « ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ...» . الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة بن محمد ، قال البخارى : منكر الحديث .

وقوله ﷺ للجارية : « أين الله ؟ » قالت : فى السماء . قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » . رواه مسلم فى قصة معاوية بن الحكم .

وقوله ﷺ لحصين بن عبيد الخزاعى والد عمران بن حصين : « اترك الستة ، واعبد الذى فى السماء » هذا هو اللفظ الذى ذكره المؤلف ، وذكره فى « الإصابة » من رواية ابن خزيمة فى قصة إسلامه بلفظ غير هذا ، وفيه إقرار النبى ﷺ لحصين حين قال : « ستة فى الأرض وواحدا فى السماء » .

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه فى السماء ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته فى السماء ، وفسروا معناها أن فى السماء

---

(١) أبو داود (٣٨٩٢)، وأحمد ٦/٢١، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع .

(٢) مسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٣٢٨٢)، والنسائى (٤/١٤– ١٨)، وأحمد ٥/٤٤٧ .

وواحدًا فى السماءِ. قال: « مَن لرغبتِك ورَهْبتِك ؟ » . قال: الذى فى السماءِ. قال: « فاترُكْ السِّتَّةَ واعبُدِ الذى فى السماءِ، وأنا أعلمُك دَعْوَتَيْن » . فأسْلَمَ وعلَّمه النبىُّ ﷺ أن يَقولَ: « اللهمَّ أَلْهِمْنى رُشْدِى، وقِنِى شرَّ نفسِى »[1] .

وفيما نُقِلَ من علاماتِ النبىِّ ﷺ وأصحابِه فى الكتبِ المُتَقَدِّمَةِ أنهم يَسجُدُون بالأرضِ ويَزعُمون أن إلَهَهم فى السماءِ.

وروَى أبو داودَ فى « سننِه » أن النبىَّ ﷺ قال: « إنَّ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ

ملكه، وسلطانه، ونحوه، ونرد عليهم بما سبق فى القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه فى السماء وفى الأرض. أيضا وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه؛ لأنه صفة كمال. وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون على أن الله فى السماء.

معنى كون الله فى السماء:

المعنى الصحيح لكون الله فى السماء أن الله تعالى على السماء، فـ « فى » بمعنى « على »، وليست للظرفية؛ لأن السماء لا تحيط بالله، أو أنه فى العلو فالسماء بمعنى العلو، وليس المراد بها السماء المبنية.

تنبيه:

ذكر المؤلف رحمه الله أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبى ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فى السماء، وهذا النقل غير صحيح؛ لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة، وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم فى هذا الأمر ليس بمدح؛ لأن أكثر ما يأتى الزعم فيما يشك فيه.

---

(١) أخرجه الترمذى (٧٠)/٣٤٨٣ .

مَسِيرةُ كذا وكذا » . وذكَر الخبرَ إلى قولِه : « وفوقَ ذلك العرشُ ، واللهُ سبحانَه فوقَ ذلك » .

فهذا وما أشْبَهَه ممَّا أجمَع السلفُ رحِمهم اللهُ على نقلِه وقبولِه ، ولم يَتَعَرَّضُوا لردِّه ولا تأويلِه ، ولا تَشْبِيهه ولا تمثيلِه .

سُئِلَ مالكُ بنُ أنسٍ رحِمه اللهُ فقيلَ : يا أبا عبدِ اللهِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوَى ؟ فقال : الاستواءُ غيرُ مجهولٍ ، والكيفُ غيرُ معقولٍ ، والإيمانُ به واجبٌ ، والسؤالُ عنه بدعةٌ ، ثم أمَر بالرجلِ فأُخْرِجَ .



جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك :

وليس أبوه أنس بن مالك الصحابى بل غيره ، وكان جد مالك من كبار التابعين ، وأبو جده من الصحابة . ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ وهو فى عصر تابعى التابعين .

سئل مالك فقيل : يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ . كيف استوى ؟ فقال رحمه الله : (الاستواء غير مجهول) أى معلوم المعنى ، وهو العلو والاستقرار . (والكيف غير معقول) أى كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل ؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته . (والإيمان به) أى الاستواء (واجب) لوروده فى الكتاب والسنة . (والسؤال عنه) أى عن الكيف (بدعة) ؛ لأن السؤال عنه لم يكن فى عهد النبى ﷺ وأصحابه .

ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفا من أن يفتن الناس فى عقيدتهم وتعزيرا له بمنعه من مجالس العلم .

فصل فى كلامِ اللهِ تعالى

١٢- ومن صفاتِ اللَّهِ تعالَى أنه مُتَكَلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ ، يَسمعُه منه مَن شاءَ من خَلْقِه ؛ سمِعه موسى عليه السلامُ منه من غيرِ واسطةٍ ، وسمِعه جبريلُ عليه السلام ، ومن أذِن له من ملائكتِه ورسلِه .

وأنه سبحانَه يُكلِّمُ المؤمنينَ فى الآخرةِ ، ويُكلِّمُونه ، ويَأْذَنُ لهم فيَزورونَه .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النِّساء: ١٦٤] .

وقال سبحانه : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

وقال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشّورى: ٥١] .

وقال سبحانه : ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه : ١١، ١٢].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] .

وغيرُ جائزٍ أن يقولَ هذا إلا اللَّهُ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ رضى اللَّه عنه : إذا تكلَّم اللَّهُ بالوَحْيِ سمِع صوتَه أهلُ السماءِ . ورُوِىَ ذلك عن النبىِّ ﷺ .

وروى عبدُ اللَّه بنُ أُنَيْس عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « يَحشُرُ اللَّهُ العباد يومَ القيامةِ

الصفة الخامسة عشرة : « الكلام » .

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال اللّـه تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ ، ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ .

حُفاةً عُراةً فيُنادِيهم بصوتٍ يَسمَعُه من بَعُدَ ، كما يَسمعُه من قرُب : أنا الملكُ ، أنا الديَّانُ »[1] . رواه الأئمة ، واستَشْهَد به البخاريُّ .

وفي بعضِ الآثارِ : أن موسى عليه السلامُ ليلةَ رأَى النارَ ، فهَالَتْه وفزِع منها ، فناداه ربُّه : يا موسى . فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوتِ . فقال : لبيك ، لبيك ،

وقال النبى ﷺ : « إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحى » . أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبى حاتم .

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو كلام حقيقى يليق بالله ، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة .

والدليل على أنه بمشيئته ، قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] . فالتكليم حصل بعد مجىء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى .

والدليل على أنه حروف ، قوله تعالى : ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه : ١١، ١٢] . فإن هذه الكلمات حروف وهى كلام الله .

والدليل على أنه بصوت ، قوله تعالى : ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت .

وروى عبد الله بن أنيس عن النبى ﷺ أنه قال : « يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان » . علقه البخارى بصيغة التمريض .

قال فى « الفتح » : وأخرجه المصنف فى « الأدب المفرد » وأحمد ، وأبو يعلى فى « مسنديهما » . وذكر له طريقين آخرين .

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩٥/٣، والبخاري في خلق أفعال العباد ٤٠/١، وعلقه بصيغة التمريض في الصحيح ٣٣٧/١ .

أسمع صوتَك ، ولا أرىَ مكانَك ، فأين أنت ؟ فقال : أنا فوقَك ، وأمامَك ، وعن يمينِك ، وعن شمالِك . فعلِم أن هذه الصفةَ لا تَنبغِى إلا للهِ تعالَى ، قال : فكذلك أنت يا إلهِى ، أفكلامَك أسمعُ ، أم كلامَ رسولِك ؟ قال : بل كلامى يا موسى .

وكلام الله تعالى قديم النوع ، حادث الآحاد .

ومعنى قديم النوع : أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا ، ليس الكلام حادثا منه بعد أن لم يكن .

ومعنى حادث الآحاد : أن آحاد كلامه - أى الكلام المعين المخصوص - حادث ؛ لأنه متعلق بمشيئته ، متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء .

المخالفون لأهل السنة فى كلام الله تعالى :

خالف أهل السنة فى كلام الله طوائف نذكر منها طائفتين :

الطائفة الأولى : الجهمية :

قالوا : ليس الكلام من صفات الله ، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله فى الهواء ، أو فى المحل الذى يسمع منه ، وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل ناقة الله ، وبيت الله .

ونرد عليهم بما يلى :

١- أنه خلاف إجماع السلف .

٢- أنه خلاف المعقول ؛ لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئًا قائما بنفسه منفصلا عن المتكلم .

٣- أن موسى سمع الله يقول : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] . ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

الطائفة الثانية : الأشعرية :

قالوا : كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته ، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله .

....

ونرد عليهم بما يلي :

١- أنه خلاف إجماع السلف .

٢- أنه خلاف الأدلة ؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ، ولا يسمع إلا الصوت ، ولا يسمع المعنى القائم بالنفس .

٣- أنه خلاف المعهود ؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه .

تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام :

قوله : « متكلم بكلام قديم » يعني قديم النوع حادث الآحاد ، لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة ، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد .

قوله : « سمعه موسى من غير واسطة » لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه : ١٣] .

قوله : « وسمعه جبريل » لقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

قوله : « ومن أذن له من ملائكته ورسله » أما الملائكة فلقوله ﷺ : « ولكن ربنا إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فيخبرونهم » . الحديث رواه مسلم[1] . وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمدا ﷺ ليلة المعراج .

قوله : « وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه » لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « يقول الله لأهل الجنة : يأهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك » . الحديث متفق عليه[2] .

---

(١) مسلم (٢٢٢٩) ، والترمذي (٣٢٢٤) ، وأحمد ١/ ٢١٨ .

(٢) البخاري (٦٥٣٠) ، ومسلم (٢٢٢) .

....

❁ ❁ ❁

قوله : « ويأذن لهم فيزورونه » لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ... »[١] الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال : غريب. وضعفه الألبانى .

وقوله : « وقال ابن مسعود : « إذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء » وروى ذلك عن النبى ﷺ » أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ ، وذكر ابن خزيمة طرقه فى كتاب « التوحيد » بألفاظ منها : « سمع أهل السموات للسموات صلصلة » ، وأما المروى عن النبى ﷺ ، فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعا : « إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحى ، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة ، أو قال : رعدة شديدة . من خوف الله ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ... »[٢] . الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبى حاتم .

---

(١) الترمذى (٢٥٤٩) ، وابن ماجه (٤٣٣٦) ، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٧٢٢) .
(٢) فتح الباري ٤٥٧/١٣، وعمدة القاري ١٥٢/٢٥، وعون المعبود ٤٨/١٣ .

فصلٌ فى القرآنِ الكريمِ

١٣- ومن كلامِ اللَّهِ تعالى القرآنُ العظيمُ، وهو كتابُ اللَّهِ المبينُ، وحَبْلُه المتينُ، وصراطُه المستقيمُ، وتنزيلُ ربِّ العالمين، نزَل به الروحُ الأمينُ، على قلبِ سيدِ المرسلين، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، مُنَزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ، منه بدَأ، وإليه يَعودُ.

وهو سورٌ مُحْكَماتٌ، وآياتٌ بيِّنَاتٌ، وحروفٌ وكلماتٌ، من قرَأه فأعرَبه فله بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ. له أولٌ وآخِرٌ، وأجزاء وأبعاض، مَتْلُوٌّ بالألسنةِ، محفوظٌ

القول فى القرآن:

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه. دليل أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. يعنى القرآن.

ودليل أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فجعل الأمر غير الخلق، والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]. ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئا.

ودليل أنه إليه يعود، أنه ورد فى بعض الآثار أنه يرفع من المصاحف والصدور فى آخر الزمان.

القرآن حروف وكلمات:

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف رحمه الله لذلك أدلة ثمانية:

١- أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

فى الصدورِ، مسموعٌ بالآذانِ، مكتوبٌ فى المصاحفِ، فيه مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، وناسخٌ ومنسوخٌ، وخاصٌّ وعامٌّ، وأمرٌ ونهْىٌ.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهو هذا الكتابُ العربىُّ الذى قال فيه الذين كفَروا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١].

وقال بعضُهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

فقال اللَّهُ سبحانه وتعالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

وقال بعضُهم: هو شعرٌ، فقال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

فلما نفَى اللَّهُ عنه أنه شعرٌ، وأثبته قرآنًا، لم يَبْقَ شبهةٌ لذى لُبٍّ فى أن القرآنَ هو هذا الكتابُ العربىُّ الذى هو كلماتٌ، وحروفٌ، وآياتٌ؛ لأن ما ليس كذلك لا يقولُ أحدٌ: إنه شعرٌ.

وقال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولا يجوزُ أن يَتحدَّاهم بالإتيانِ بمثلِ ما لا يُدْرَى ما هو ولا يُعْقَلُ.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

٢- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفا وكلمات لكان التحدى غير مقبول، إذ لا يمكن التحدى إلا بشىء معلوم يدرى ما هو.

٣- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ

لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ﴾ [يُونس: ١٥] .

فأثبتَ أن القرآنَ هو الآياتُ التى تُتْلَى عليهم .

وقال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] .

وقـال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة : ٧٧، ٧٨] .

بعدَ أن أقسَم على ذلك .

وقال تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريَم: ١] ، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى : ١، ٢] ، وافْتَتَح تسعًا وعشرين سورةً بالحروفِ المقطعةِ .

قال النبىُّ ﷺ : « مَن قرأ القرآنَ فأعْرَبَه فله بكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ ، ومن قرَأه ولحَن فيه فله بكلِّ حرفٍ حسنةٌ »[1] حديثٌ صحيحٌ .

وقال عليه السلامُ : « اقْرَءُوا القرآنَ قبل أن يَأتىَ قومٌ يُقِيمونَ حروفَه إقامةَ السهمِ

ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ . ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات .

٤- أن الله أخبر بأنه محفوظ فى صدور أهل العلم ومكتوب فى اللوح المحفوظ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩] . ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٧- ٧٩] . ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات .

٥- قول النبى ﷺ : « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة » . صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه .

---

(١) ضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٣٤٤- ١٣٤٦) .

لا يُجاوِزُ تَراقِيَهم يَتَعَجَّلُون آخرَه ولا يَتَأَجَّلُونه »[(١)] .

وقال أبو بكرٍ وعمرُ - رضى اللَّه عنهما - : إعرابُ القرآنِ أحبُّ إلينا من حفظِ بعضِ حروفِه .

وقال عليٌّ - رضى اللَّه عنه - : مَن كفَر بحرفٍ فقد كفَر به كلِّه .

واتَّفق المسلمون على عدِّ سورِ القرآنِ ، وآياتِه ، وكلماتِه ، وحروفِه .

ولا خلافَ بينَ المسلمينَ فى أنَّ من جحَد من القرآنِ سورةً ، أو آيةً ، أو كلمةً ، أو حرفًا - مُتَّفَقًا عليه - أنه كافرٌ ، وفى هذا حجةٌ قاطعةٌ على أنه حروفٌ .



٦- قول أبى بكر وعمر : إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .

٧- قول على رضى الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .

٨- إجماع المسلمين - كما نقله المؤلف - على أن من جحد منه سورة ، أو آية ، أو كلمة ، أو حرفا متفقا عليه ، فهو كافر .

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة .

أوصاف القرآن :

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلى :

١- أنه كتاب الله المبين ، أى : المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار .

٢- أنه حبل الله المتين ، أى : العهد القوى الذى جعله الله سببا للوصول إليه والفوز بكرامته .

٣- أنه سور محكمات ، أى : مفصل السور ، كل سورة منفردة عن الأخرى ، والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض .

---

(١) أبو داود (٨٣١) ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٥٩) .

....



٤- أنه آيات بينات، أى علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

٥- أن فيه محكما ومتشابها، فالمحكم: ما كان معناه واضحا، والمتشابه: ما كان معناه خفيا. ولا يعارض هذا ما سبق برقم «٣» لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكما.

٦- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أى جهة ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصّلَت: ٤٢].

٧- أنه برىء مما وصفه به المكذبون به من قولهم: إنه شعر؛ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، وقول بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥]. فقال الله متوعدا هذا القائل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدّثّر: ٢٦].

٨- أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتى بمثله وإن عاونه غيره ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فصل فى رؤيةِ المؤمنين لربِّهم يومَ القيامةِ

١٤- والمؤمنون يَرون اللَّه تعالى فى الآخرةِ بأبصارِهم ويَزُورُونه ويُكَلِّمُهم ويكلمونه .

قال اللهُ تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] .

فلما حجَب أولئك فى حالِ السُّخْطِ دلَّ على أن المؤمنين يرونَه فى حالِ الرِّضَا ، وإلا لم يكنْ بينَهما فرقٌ .

وقال النبىُّ ﷺ : « إنكم تَرَوْن ربَّكم كما تَرون هذا القمرَ لا تُضَامُّونَ فى رؤيتِه » متفقٌ عليه[١] .

رؤية الله فى الآخرة :

رؤية الله فى الدنيا مستحيلة؛ لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

ورؤية الله فى الآخرة ثابتة بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . وقال : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ . فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه ، وإلا لم يكن بينهما فرق .

وقال النبى ﷺ : « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته » . متفق عليه .

---

(١) البخارى (٤٨٥١) ، ومسلم (٦٣٣) ، وأبو داود (٤٧٢٩) ، والترمذى (٢٥٥١) .

وهذا تَشْبِيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا المَرْئِيِّ بالمَرْئِيِّ ، فإنَّ اللهَ تعالى لا شبيهَ له ولا نظيرَ .



وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى ؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشورى: ١١] ، ولا شبيه له ولا نظير .

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية .

يرون الله تعالى فى عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى .

وهى رؤية حقيقية تليق بالله ، وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله ، أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين . ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق فى القاعدة الرابعة ، وباعتبار التأويل الثانى بذلك ، وبوجه رابع : أن العلم واليقين حاصل للأبرار فى الدنيا وسيحصل للفجار فى الآخرة .

فصلٌ في القضاءِ والقدرِ

١٥- ومن صفاتِ اللهِ تعالى أنه الفعَّالُ لِمَا يُريدُ ، لا يكونُ شيءٌ إلا بإرادتِه ، ولا يَخرجُ شيءٌ عن مشيئتِه ، وليس فى العالمِ شيءٌ يَخرجُ عن تقديرِه ولا يَصدُرُ إلا عن تدبيرِه ، ولا مَحِيدَ لأحدٍ عن القدرِ المقدورِ ، ولا يَتجاوزُ ما خُطَّ فى اللوحِ المسطورِ ، أراد ما العالمُ فاعِلُوه ، ولو عصَمهم لما خالفُوه ، ولو شاء أن يُطِيعُوه جميعًا لأطاعوه ، خلَق الخلائق وأفعالَهم ، وقدَّر أرزاقَهم وآجالَهم ، يَهدِى من يَشاءُ برحمتِه ، ويُضِلُّ من يَشاءُ بحكمتِه .

قال اللهُ تعالى : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] .

وقال اللهُ تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] .

وقال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

القـــدر :

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] .

فلا يخرج شىء عن إرادته وسلطانه ، ولا يصدر شىء إلا بتقديره وتدبيره ، بيده ملكوت كل السموات والأرض ، يهدى من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل ؛ لكمال حكمته وسلطانه ، وهم يسألون ، لأنهم مربوبون محكومون .

ورَوَى ابنُ عمرَ أنَّ جبريلَ عليه السلامُ قال للنبيِّ ﷺ : ما الإيمانُ ؟ قال : « أن تُؤمِنَ باللهِ ، وملائكتِه ، وكتبِه ، ورسلِه ، واليومِ الآخرِ ، وبالقدر خيرِه وشرِّه »[١] . فقال جبريلُ : صَدَقْتَ . انفرَد مسلمٌ بإخراجِه .

وقال النبيُّ ﷺ : « آمَنْتُ بالقدرِ خيرِه وشرِّه ، وحُلْوِه ومُرِّه »[٢] .

ومن دعاءِ النبيِّ ﷺ الذى عَلَّمَه الحسنَ بنَ عليٍّ يَدعو به فى قنوتِ الوترِ : « وقِنِى شرَّ ما قَضَيْتَ »[٣] .

والإيمان بالقدر واجب ، وهو أحد أركان الإيمان الستة ؛ لقول النبى ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خير وشره » رواه مسلم وغيره .

وقال النبى ﷺ : « آمنت بالقدر خيره وشره ، حلوه ، ومره » . فالخير والشر باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتباره وقت إصابته . وخير القدر ما كان نافعا ، وشره ما كان ضارا أو مؤذيا .

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته ، فإن منه ما يكون خيرا كالطاعات ، والصحة ، والغنى ، ومنه ما يكون شرا ، كالمعاصى ، والمرض ، والفقر .

أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال : إنه شر ؛ لقول النبى ﷺ فى دعاء القنوت الذى علمه الحسن بن على : « وقنى شر ما قضيت » . فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه .

---

(١) مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذى (٢٦١٠) .

(٢) تاريخ دمشق ٢٥٠/٥ ، وفتح المغيث ٥٨/٣ .

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٢٥) ، والترمذى (٤٦٤)، والنسائى ٢٤٨/٣، وابن ماجه (١١٧٨)، وأحمد ٢٠٠/١، وصححه الألبانى فى الإرواء (٤٢٩) .

....

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلا بعلم سابق ؛ لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] .

الثانى : أن الله كتب فى اللوح المحفوظ مقادير كل شىء ؛ لقوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] . أى نخلق الخليقة .

ولقوله ﷺ : « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »(١) رواه مسلم .

الثالث : أنه لا يكون شىء فى السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة ، يهدى من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل؛ لكمال حكمته وسلطانه ، وهم يسألون ، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه فى اللوح المحفوظ ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] . ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] . فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته .

الرابع : أن كل شىء فى السموات والأرض مخلوق لله تعالى ، لا خالق غيره ولا رب سواه ؛ لقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] .

وقال على لسان إبراهيم : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] .

---

(١) مسلم (٢٦٥٣) ، والترمذى (١٨)/ ٢١٥٦.

ولا نَجعلُ قضاءَ اللهِ وقدرَه حُجَّةً لنا فى تركِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه ، بل يَجبُ أن نُؤْمِنَ ونعلمَ أن للهِ الحجةَ علينا بإنزالِ الكتبِ وبَعْثَةِ الرسلِ .

قال اللهُ تعالى : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النّساء: ١٦٥] .

ونعلمُ أنَّ اللهَ سبحانَه ما أَمَرَ ونَهَى إلا المُسْتَطِيعَ للفعلِ والتركِ ، وأنَّه لم يَجْبِرْ أحدًا على معصيةٍ ، ولا اضْطَرَّه إلى تركِ طاعةٍ .

القدر ليس حجة للعاصى على فعل المعصية :

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله كما سبق ، ولكن ليس ذلك حجة للعاصى على فعل المعصية .

وذلك لأدلة كثيرة منها :

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسبا له فقال : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧] . ولو لم يكن له اختيار فى الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه .

٢- أن الله أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ؛ لقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرة: ٢٨٦] . ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغَابُن: ١٦] . ولو كان مجبورا على العمل ما كان مستطيعا على الفعل أو الكف ؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص .

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختيارى والإجبارى ، وأن الأول يستطيع التخلص منه .

٤- أن العاصى قبل أن يقدم على المعصية لا يدرى ما قدر له ، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك ، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول ؟ ! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول : هذا ما قدر لى ؟ !

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ . ولو كان القدر حجة للعاصى لم تنقطع بإرسال الرسل .

قال اللهُ تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] .

فدلَّ على أن للعبدِ فعلًا وكسبًا يُجزى على حسنِه بالثوابِ ، وعلى سيئِه بالعقابِ ، وهو واقعٌ بقضاءِ اللهِ وقدرِه .



التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقا لله وكونه كسبا للفاعل :

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله ، وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن ، والسيئ بمثله ، فكيف نوفق بينهما ؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقا لله تعالى أمران :

الأول : أن فعل العبد من صفاته ، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى .

الثانى : أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ، ولولاهما لم يكن فعل ، والذى خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى ، وخالق السبب خالق للمسبب ، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب ، لا نسبة مباشرة ؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد ، فلذلك نسب الفعل إليه كسبا وتحصيلا ، ونسب إلى الله خلقا وتقديرا ، فلكل من النسبتين اعتبار ، والله أعلم .

المخالفون للحق فى القضاء والقدر والرد عليهم :

المخالفون للحق فى القضاء والقدر طائفتان :

الطائفة الأولى : الجبرية :

يقولون : العبد مجبور على فعله وليس له اختيار فى ذلك .

ونرد عليهم بأمرين :

١- أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسبا له يعاقب ويثاب بحسبه ، ولو كان مجبورا عليه ما صح نسبته إليه ، ولكان عقابه عليه ظلما .



٢- أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختيارى والاضطرارى فى الحقيقة والحكم ، فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفها مخالفا للمعلوم بالضرورة .

الطائفة الثانية : القدرية .

يقولون : العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ، ولا قدرة ، ولا خلق .

ونرد عليهم بأمرين :

١- أنه مخالف لقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرّعد: ١٦] . ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصَّافات: ٩٦] .

٢- أن الله مالك السموات والأرض ، فكيف يكون فى ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه ؟ !

أقسام الإرادة والفرق بينهما :

إرادة الله تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية :

فالكونية : هى التى بمعنى المشيئة كقوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

والشرعية : هى التى بمعنى المحبة ، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النّساء: ٢٧] .

والفرق بينهما : أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبا لله ، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوبا لله ولا يلزم وقوعه .



فصلٌ في الإيمانِ

١٦- والإيمانُ قولٌ باللسانِ ، وعملٌ بالأركانِ ، وعقدٌ بالجَنانِ ، يَزيدُ بالطاعةِ ، وينقصُ بالعصيانِ .

قال اللهُ تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] . فجعَل عبادةَ اللهِ تعالى ، وإخلاصَ القلبِ ، وإقامَ الصلاةِ ، وإيتاءَ الزكاةِ ، كلَّه من الدِّين .

وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شعبةً ، أعلاها شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ »(١) . فجعَل القولَ والعملَ من الإيمانِ .

الإيمان :

الإيمان لغة : التصديق . واصطلاحا : قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان .

مثال القول : لا إله إلا الله .

ومثال العمل : الركوع .

ومثال العقد : الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده .

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ . فجعل الإخلاص ، والصلاة ، والزكاة من الدين .

وقال النبى ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . رواه مسلم بلفظ : « فأفضلها قول : لا إله إلا الله » وأصله فى « الصحيحين » .

---

(١) البخارى (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦) .

وقال الله تعالَى : ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] ، ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح: ٤] .

وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « يَخرُجُ من النارِ مَن قال لا إلهَ إلا اللهُ ، وفى قلبِه مِثقالُ بُرَّةٍ ، أو خَرْدَلَةٍ ، أو ذَرَّةٍ ، من الإيمانِ »(١) . فجعَله مُتفاضِلاً .



والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ لقوله تعالى : ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ . ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ .

وقال النبى ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وفى قلبه مثقال برة ، أو خردلة ، أو ذرة ، من إيمان » رواه البخارى بنحوه . فجعله النبى ﷺ متفاضلا ، وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه ؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصا عن الزائد .



(١) البخارى (٤٤)، ومسلم (١٩٣) .

فصلٌ فى السمعياتِ

١٧- ويجبُ الإيمانُ بكلِّ ما أخبَر به النبىُّ ﷺ وصحَّ به النقلُ عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نَعلمُ أنه حقٌّ وصدقٌ ، سواءٌ فى ذلك ما عقَلناه وجهلناه ، ولم نَطَّلِعْ على حقيقةِ معناه .

مثلُ حديثِ الإسراءِ والمعراجِ ، وكان يَقَظَةً لا منامًا ، فإنَّ قريشًا أنكرَتْه وأكْبرَتْه ولم تكن تُنْكِر المناماتِ .

فصل فى السمعيات

السمعيات كل ما ثبت بالسمع ، أى بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل ، وكل ما ثبت عن النبى ﷺ من أخبار فهى حق يجب تصديقه ، سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا ، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] .

وقد ذكر المؤلف من ذلك أمورًا :

الأمر الأول : الإسراء والمعراج .

الإسراء لغة : السير بالشخص ليلًا . وقيل : بمعنى سرى .

وشرعًا : سير جبريل بالنبى ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ؛ لقوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] الآية .

والمعراج لغة : الآلة التى يعرج بها وهى المصعد .

وشرعًا : السلم الذى عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء ؛ لقوله تعالى : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم : ١، ٢] . إلى قوله : ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] .

ومن ذلك : أن مَلَكَ الموتِ لما جاء إلى موسَى عليه السلام ليقبضَ روحَه لطَمه ففَقَأ عينَه ، فرجَع إلى ربِّه فردَّ عليه عينَه[(١)] .

وكانا فى ليلة واحدة عند الجمهور .

وللعلماء خلاف متى كانت ؟ فيروى بسند منقطع عن ابن عباس ، وجابر ، رضى الله عنهم ؛ أنها ليلة الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول ، ولم يعينا السنة . رواه ابن أبى شيبة .

ويروى عن الزهرى وعروة أنها قبل الهجرة بسنة . رواه البيهقى ، فتكون فى ربيع الأول ، ولم يعينا الليلة ، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووى . ويروى عن السدى أنها قبل الهجرة بستة عشر شهرًا . رواه الحاكم . فتكون فى ذى القعدة .

وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين .

وقيل : بخمس . وقيل : بست .

وكان يقظة لا منامًا ، لأن قريشًا أكبرته وأنكرته ، ولو كان منامًا لم تنكره ؛ لأنها لا تنكر المنامات .

وقصته : أن جبريل أمره الله أن يسرى بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس على البراق ، ثم يعرج به إلى السموات العلى سماء ، سماء ، حتى بلغ مكانًا سمع فيه صريف الأقلام ، وفرض الله عليه الصلوات الخمس ، وأُطْلع على الجنة والنار ، واتصل بالأنبياء الكرام ، وصلى بهم إمامًا ، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون ، وصدق به المؤمنون ، وتردد فيه آخرون .

الأمر الثانى : مجيء ملك الموت إلى موسى :

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض

---

(١) البخارى (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢)، والنسائى ١١٨/٤، وأحمد ٣١٥/٢ .

١٨- ومن ذلك أشراطُ الساعةِ ، مثلُ خروجِ الدجالِ .

روحه ، فلطمه موسى ففقأ عينه ، فرجع الملك إلى الله وقال : « أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت » فرد الله عليه عينه وقال : « ارجع إليه ، وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة » فقال موسى : ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن . فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال النبى ﷺ : « فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » .

وهذا الحديث ثابت فى « الصحيحين » وإنما أثبته المؤلف فى العقيدة ؛ لأن بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن يلطم موسى الملك . ونرد عليهم : بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو؟ يطلب منه نفسه ، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه ، ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه ، ولذلك استسلم له فى المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله ، وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور .

الأمر الثالث : أشراط الساعة :

الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة .

والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه .. والمراد بها هنا : القيامة .

فأشراط الساعة شرعًا العلامات الدالة على قرب يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] .

وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتى :

١- (خروج الدجال) :

وهو لغة صيغة مبالغة من الدجل ، وهو الكذب والتمويه .

وشرعًا : رجل مموه يخرج فى آخر الزمان يدعى الربوبية .

وخروجه ثابت بالسنة ، والإجماع . قال النبى ﷺ : « قولوا : اللهم إنى أعوذ بك

ونزولِ عيسَى ابنِ مريمَ عليه السلامُ فيقتُلُه .

من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » رواه مسلم[(١)] .

وكان النبى ﷺ يتعوذ منه فى الصلاة[(٢)] . متفق عليه .

وأجمع المسلمون على خروجه .

وقصته أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق ، فيدعو الناس إلى عبادته ، فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب . ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان ، فيسير فى الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح ، إلا مكة والمدينة فيمنع منهما ، ومدته أربعون يومًا ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وباقى أيامه كالعادة ، وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط ، وله فتنة عظيمة ، منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ، معه جنة ونار ، فجنته نار ، وناره جنة .

حذر منه النبى ﷺ ، وقال : « من سمع به فلينأ عنه ، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، أو بفواتح سورة الكهف »[(٣)] .

٢- (نزول عيسى ابن مريم) :

نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] . أى : موت عيسى ، هذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك . وقال النبى ﷺ : « والله لينزلن عيسى ابن مريم حكمًا عدلًا ». الحديث متفق عليه[(٤)] .

---

(١) البخارى (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) ، والترمذى ٨/ ٢٧٨، وأحمد ٢/ ٥٢٢.

(٢) البخاري (٧٩٨) ، ومسلم (٥٨٨) .

(٣) مسلم ١٨/ ٦٥، وأبو داود (٤٣٢١) ، والترمذى (٢٢٤٠) ، وابن ماجه (٤٠٧٥) ، وأحمد ٤/ ١٨١.

(٤) البخارى (٢٢٢٢) ، ومسلم (١٥٥) ، وأحمد ٢/ ٢٤٠.

وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ .

وقد أجمع المسلمون على نزوله .

فينزل عند المغارة البيضاء فى شرقى دمشق ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين ، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر ، كل هذا ثابت فى « صحيح مسلم » وبعضه فى « الصحيحين » كليهما .

وروى الإمام أحمد وأبو داود[1] : أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون . وذكر البخارى فى « تاريخه » أنه يدفن مع النبى ﷺ[2] ، والله أعلم .

٣- (يأجوج ومأجوج) :

اسمان أعجميان ، أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب ، أو من أجيج النار وتلهبها .

وهما أمتان من بنى آدم موجودتان بدليل الكتاب ، والسنة .

قال الله تعالى في قصة ذى القرنين : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ الآيات [الكهف : ٩٣، ٩٤] .

وقال النبى ﷺ : « يقول الله يوم القيامة : يا آدم ، قم فابعث بعث النار من ذريتك » ، إلى أن قال رسول الله ﷺ : « أبشروا ، فإن منكم واحدًا ومن يأجوج ومأجوج ألفًا » أخرجاه فى « الصحيحين »[3] .

(١) أبو داود (٤٣٢٤) ، وأحمد ٢/ ٤٠٦، وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢١٨٢) .

(٢) يُنظر تفسير ابن كثير ٥٨٥/١ .

(٣) البخارى (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) ، وأحمد ٣/ ٣٣.

....

وخروجهم الذى يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد ، ولكن بوادره وجدت فى عهد النبى ﷺ فقد ثبت فى « الصحيحين » أن النبى ﷺ قال : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » . وحلق بإصبعه الإبهام والتى تليها »[(١)] .

وقد ثبت خروجهم فى الكتاب والسنة .

قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] .

وقال النبى ﷺ : « إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات » . فذكر : « الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ؛ خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » . رواه مسلم[(٢)] .

وقصتهم فى حديث النواس بن سمعان أن النبى ﷺ قال فى عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال :

« فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عبادًا لى لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادى إلى الطور . ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم ويقول : لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ، وهو جبل ببيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض ، هلم فلنقتل من فى السماء ، فيرمون بنشابهم إلى

---

(١) البخارى (٥٢٩٣) ، ومسلم (٢٨٨٠) ، والترمذى (٢١٨٧) .

(٢) مسلم (٢٩٠١) ، وأبو داود (٤٣١١) ، والترمذى (٢١٨٣) ، وابن ماجه (٤٠٤١) ، وأحمد ٤/ ٧.

وخروجِ الدابَّة .

السماء ، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا ، ويحصر نبى الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل عليهم طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله » . رواه مسلم[(١)] .

٤- (خروج الدابة) .

الدابة لغة : كل ما دب على الأرض .

والمراد بها هنا : الدابة التى يخرجها الله قرب قيام الساعة . وخروجها ثابت بالقرآن والسنة .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢] .

وقال النبى ﷺ : « إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات » وذكر منها الدابة . رواه مسلم .

وليس فى القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها ، وإنما وردت فى ذلك أحاديث فى صحتها نظر .

وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك . والله أعلم .

---

(١) مسلم (٢٩٣٧) .

وطلوعِ الشمسِ من مغربِها ، وأشباهِ ذلك مما صحَّ به النقلُ .
وعذابُ القبرِ ونعيمُه حقٌّ .

٥- (طلوع الشمس من مغربها) :

طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة .

قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها .

وقال النبي ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا » متفق عليه[1] .

عذاب القبر أو نعيمه :

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن ، وصريح السنة ، وإجماع أهل السنة .

قال الله تعالى فى سورة « الواقعة » : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة : ٨٣، ٨٤] ، إلى قوله : ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة : ٨٨، ٨٩] . إلخ السورة .

وكان النبى ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر ، وأمر أمته بذلك .

وقال النبى ﷺ فى حديث البراء بن عازب المشهور فى قصة فتنة القبر ، قال فى المؤمن : « فينادى مناد من السماء . أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، فيأتيه من ريحها ، وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره » . وقال فى الكافر : « فينادى منادٍ من السماء . أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ،

---

(١) البخارى (٤٦٣٥) ، ومسلم (١٥٧) ، وأبو داود (٤٣١٢) .

وقد استعاذ النبيُّ ﷺ منه، وأمَر به فى كلِّ صلاةٍ.

وفتنةُ القبرِ حقٌّ، وسؤالُ منكرٍ ونكيرٍ حقٌّ.

وافتحوا له بابًا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه». الحديث رواه أحمد وأبو داود[1].

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه، ذكره ابن القيم فى كتاب «الروح».

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو.

نرد عليهم بأمرين:

١- دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف على ذلك.

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا، فليس العذاب أو النعيم فى القبر كالمحسوس فى الدنيا.

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

فتنة القبر:

الفتنة لغة: الاختبار. وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، وهى ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٢)، والنسائى ٤/ ٧٨، وابن ماجه (١٥٤٨، ١٥٤٩)، وأحمد ٤/ ٢٨٧.

والبعثُ بعدَ الموتِ حقٌّ ، وذلك حينَ يَنفُخُ إسرافيلُ عليه السلام فى الصورِ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] .

ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وقال النبى ﷺ : « المسلم إذا سئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فذلك قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ » متفق عليه[١] .

والسائل ملكان ؛ لقول النبى ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يأتيه ملكان فيقعدانه »[٢] . رواه مسلم . واسمهما منكر ونكير كما رواه الترمذي[٣] عن أبى هريرة مرفوعًا ، وقال : حسن غريب . قال الألبانى : وسنده حسن وهو على شرط مسلم ، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ، ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح ، وفى غير المكلفين خلاف ، وظاهر كلام ابن القيم فى كتاب « الروح » ترجيح السؤال . ويستثنى من ذلك الشهيد ؛ لحديث رواه النسائي[٤] ، ومن مات مرابطًا فى سبيل الله لحديث رواه مسلم[٥] .

النفخ فى الصور :

النفخ معروف .

والصور لغة : القرن .

---

(١) البخارى (ح٤٤٢٢) ، وسنن أبى داود (ح٤٧٥٠) .

(٢) البخارى (١٣٣٨) ، ومسلم (٢٨٧٠) ، وأبو داود (٣٢٣١) .

(٣) الترمذى (١٠٧١) .

(٤) النسائى (٩٩) بلفظ : أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد . . . إلخ .

(٥) مسلم (١٩١٣) .

١٩ – ويُحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلًا بُهْمًا فيَقِفُون فى مَوْقِفِ القيامةِ ، حتى يَشفعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ .

وشرعًا : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش .

وهما نفختان :

إحداهما : نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله .

الثانية : نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم .

وقد دل على النفخ فى الصور الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة .

قال الله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٨] .

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس : ٥١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثم ينفخ فى الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا ، ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » . رواه مسلم(١) فى حديث طويل . وقد اتفقت الأمة على ثبوته .

البعث والحشر :

البعث لغة : الإرسال والنشر .

وشرعًا : إحياء الأموات يوم القيامة .

والحشر لغة : الجمع .

---

(١) مسلم (٢٩٤٠) .

....

وشرعًا : جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم .

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة : ٤٩، ٥٠] .

وقال النبي ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد » متفق عليه[١] .

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة .

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم ، عراة لا كسوة عليهم ، غرلًا لا ختان فيهم ؛ لقوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] .

وقول النبي ﷺ : « إنكم تحشرون حفاة ، عراة ، غرلًا » ثم قرأ : « ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وأول من يكسى إبراهيم » . متفق عليه[٢] .

وفى حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذى رواه أحمد : « يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلًا ، بهمًا » . قلنا : وما بهمًا ؟ قال : « ليس معهم شيء »[٣] الحديث .

---

(١) البخارى (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠) .

(٢) البخارى (٦٥٢٤) ، ومسلم (٢٨٦٠) .

(٣) أحمد ٣/ ٤٩٥، والبخارى (٩٧٠) .

ويَشفعُ نبيُّنا ﷺ فيمَن دخَل النارَ من أمتِه من أهلِ الكبائرِ فيَخرجونَ بشفاعتِه بعدمَا احتَرَقُوا وصاروا فحمًا وحُمَمًا ، فيدخلون الجنةَ بشفاعتِه .

الشفاعة :

الشفاعة لغة : جعل الوتر شفعًا .

واصطلاحًا : التوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة .

والشفاعة يوم القيامة نوعان : خاصة بالنبى ﷺ ، وعامة له ولغيره .

فالخاصة به ﷺ : شفاعته العظمى فى أهل الموقف عند الله ليقضى بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون ، فيذهبون إلى آدم ، فنوح ، فإبراهيم ، فموسى ، فعيسى ، وكلهم يعتذرون إلا النبى ﷺ ، فيشفع فيهم إلى الله ، فيأتى سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده .

وقد ذكرت هذه الصفة فى حديث الصور المشهور لكن سنده ضعيف متكلم فيه ، وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة فى أهل الكبائر .

قال ابن كثير وشارح « الطحاوية » : وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة فى أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة .

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج ، ويشترط فيها إذن الله ؛ لقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

النوع الثانى العامة : وهى الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا ؛ لحديث أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس – أو كما قال – تصيبهم النار بذنوبهم – أو قال : بخطاياهم – فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن فى الشفاعة » الحديث رواه أحمد[١] .

---

(١) أحمد ٣/ ٥.

ولسائرِ الأنبياءِ والمؤمنين والملائكةِ شفاعاتٌ ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

ولا تَنفعُ الكافرَ شفاعةُ الشافعين .

قال ابن كثير فى « النهاية » (٢/٢٠٤) : وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه .

وهذه الشفاعة تكون للنبى ﷺ وغيره من الأنبياء ، والملائكة ، والمؤمنين ؛ لحديث أبى سعيد عن النبى ﷺ ، وفيه : « فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا » متفق عليه[1] :

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد فى النار فلا تنفعه الشفاعة .

ونرد عليهم بما يأتى :

١- أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبى ﷺ .

٢- أنه مخالف لإجماع السلف .

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان :

الأول : إذن اللـه فى الشفاعة ؛ لقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

الثانى : رضا الله عن الشافع والمشفوع له ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ . فأما الكافر فلا شفاعة له ؛ لقوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] . أى لو فرض أن أحدًا شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة .

---

(١) البخارى (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) .

فيُحاسبُهم اللهُ تبارَكَ وتعالى وتُنْصَبُ الموازين، وتُنْشَرُ الدواوينَ، وتتطايرُ صُحُفُ الأعمالِ إلى الأيمانِ والشمائلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ

وأما شفاعة النبى ﷺ لعمه أبى طالب حتى كان فى ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلى منهما دماغه، وإنه لأهون أهل النار عذابًا، قال النبى ﷺ: « ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » رواه مسلم[١]. فهذا خاص بالنبى ﷺ وبعمه أبى طالب فقط، وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبى ﷺ والدفاع عنه، وعما جاء به.

الحساب:

الحساب لغة: العدد.

وشرعًا: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]. وكان النبى ﷺ يقول فى بعض صلاته: « اللهم حاسبنى حسابًا يسيرًا ». فقالت عائشة رضى الله عنها: ما الحساب اليسير؟ قال: « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز عنه » رواه أحمد[٢]. وقال الألبانى: إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفة الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك. قال الله له: سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته.

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على

---

(١) مسلم (٢١٢)، والبخارى (٦٥٦٤).

(٢) أحمد ٦/ ٤٨، وابن حبان (٧٣٧٢/١٦)، والحاكم ١/ ٥٧.

ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق : ٧- ١٢] .

ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . متفق عليه[١] من حديث ابن عمر .

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبى ﷺ ، وهم سبعون ألفًا من هذه الأمة منهم عُكَّاشة بن مِحصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب . متفق عليه[٢] .

وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعًا أن مع كل واحد سبعين ألفًا[٣] . قال ابن كثير : حديث صحيح . وذكر له شواهد .

وأول من يحاسب هذه الأمة ؛ لقول النبى ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » متفق عليه[٤] ، وروى ابن ماجه[٥] عن ابن عباس مرفوعًا : « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب » . الحديث .

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة ؛ لقول النبى ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله »[٦] رواه الطبرانى فى « الأوسط » وسنده لا بأس به إن شاء الله ، قاله المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٢٤٦/١) .

وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء ؛ لقول النبى ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » متفق عليه[٧] .

---

(١) البخارى (٤٦٨٥) ، ومسلم (٢٧٦٨) .

(٢) البخارى (٦٥٤١) ، ومسلم (٢٢٠) .

(٣) أحمد ٢٨٠/٥ من حديث ثوبان رضى الله عنه .

(٤) البخارى (٢٣٨) ، ومسلم (٨٥٥) .

(٥) ابن ماجه (٤٢٩٠) ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٧٤) .

(٦) أبو داود (٨٦٤) ، والنسائى ١/ ٢٣٤، وابن ماجه (١٤٢٦) ، وأحمد ٢٩٠/٢، والطبرانى في الأوسط (١٨٥٩) .

(٧) البخارى (١٦٧٨) ، ومسلم (١٦٧٨) .

والميزانُ له كِفَّتان ولسانٌ تُوزَنُ به الأعمالُ ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٢، ١٠٣].

الموازين :

الموازين : جمع ميزان ، وهو لغة : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً .

وشرعًا : ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

وقد دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ ، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

وقال النبى ﷺ : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » متفق عليه(١) .

وأجمع السلف على ثبوت ذلك .

وهو ميزان حقيقى ، له كفتان ، لحديث عبدِ الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ فى صاحب البطاقة قال : « فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة » . الحديثُ رواه الترمذى وابن ماجه(٢) . قال الألبانى : إسنادِه صحيح .

---

(١) البخارى (٦٤٠٦) ، ومسلم (٢٦٩٤) .

(٢) الترمذى (٢٦٣٩) ، وابن ماجه (٤٣٠٠) ، وأحمد ٢/ ٢١٣، والحاكم ١/ ٦ وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

....

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد ؟

فقال بعضهم : متعدد بحسب الأمم ، أو الأفراد ، أو الأعمال ؛ لأنه لم يرد فى القرآن إلا مجموعًا ، وأما إفراده فى الحديث فباعتبار الجنس .

وقال بعضهم : هو ميزان واحد ؛ لأنه ورد فى الحديث منفردًا ، وأما جمعه فى القرآن فباعتبار الموزون ، وكلا الأمرين محتمل . والله أعلم .

والذى يوزن العمل ، لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها .

وقيل : صحائف العمل ؛ لحديث صاحب البطاقة .

وقيل : العامل نفسه ؛ لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » . وقال : « اقرءوا : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ » [الكهف: ١٠٥] . متفق عليه .

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن ، أو أن الوزن حقيقة للصحائف ، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال ، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته . وهذا جمع حسن والله أعلم .

نشر الدواوين :

النشر لغة : فتح الكتاب أو بث الشىء .

وشرعًا : إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها .

والدواوين : جمع ديوان ، وهو لغة : الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم .

وشرعًا : الصحائف التى أحصيت فيها الأعمال التى كتبها الملائكة على العامل .

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة ، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل ،

....

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: ٢٥].

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبى ﷺ: هل تذكرون أهليكم؟ قال: «أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه، أم فى شماله، أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرانى جهنم حتى يجوز». رواه أبو داود والحاكم[1] وقال: صحيح على شرطهما.

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

صفة أخذ الكتاب:

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: ١٩].

والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره، فيدعو بالويل والثبور ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦].

---

(١) أبو داود (٤٧٥٥)، والحاكم ٤/ ٥٧٨، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود.

٢- ولنبيِّنا محمدٍ ﷺ حوضٌ فى القيامةِ ماؤُه أشدُّ بياضًا من اللَّبنِ، وأحلَى من العسلِ، وأباريقُه عدد نجومِ السماءِ، مَن شرِب منه شربةً لم يَظمَأْ بعدها أبدًا.

الحوض:

الحوض لغة: الجمع. يقال: حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعًا: حوض الماء النازل من الكوثر فى عرصات القيامة للنبى ﷺ.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة.

قال النبى ﷺ: «إنى فرطكم على الحوض». متفق عليه[1].

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض.

ونرد عليهم بأمرين:

١- الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ.

٢- إجماع أهل السنة على ذلك.

صفة الحوض:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والثانى من فضة، يَرِدُهُ المؤمنون من أمة محمد ﷺ، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وكل هذا ثابت فى «الصحيحين» أو أحدهما[2].

وهو موجود الآن؛ لقوله ﷺ: «وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن» رواه البخارى[3].

واستمداده من الكوثر؛ لقوله ﷺ: «وأعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى

(١) البخارى (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) البخارى (٦٥٧٥- ٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٨٩- ٢٣٠٥).

(٣) البخارى (١٢٧٩).

والصراطُ حقٌّ تَجُوزُه الأبرارُ ، ويزِلُّ عنه الفجارُ .

حوضى »[(١)] . رواه أحمد . قال ابن كثير : وهو حسن الإسناد والمتن .

ولكل نبى حوض ، ولكن حوض النبى ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة ؛ لقول النبى ﷺ : « إن لكل نبى حوضًا ، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » . رواه الترمذى[(٢)] وقال : غريب ، وروى ذلك ابن أبى الدنيا وابن ماجه من حديث أبى سعيد ، وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق .

الصراط :

الصراط لغة : الطريق .

وشرعًا : الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة .

وهو ثابت بالكتاب ، والسنة ، وقول السلف .

قال الله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريَم: ٧١] . فسرها عبد الله بن مسعود ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، بالمرور على الصراط .

وفسرها جماعة ، منهم ابن عباس ، بالدخول فى النار لكن ينجون منها .

وقال النبى ﷺ : « ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم » متفق عليه[(٣)] .

واتفق أهل السنة على إثباته .

صفة الصراط :

سئل النبى ﷺ عن الصراط فقال : « مدحضة مزلة ، عليها خطاطيف وكلاليب ،

---

(١) أحمد ٥/ ٣٩٣.

(٢) أخرجه الترمذى (٢٤٤٣) ، وابن ماجه (٤٣٠١) ، والطبرانى ٧/ ٣٨٨١، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٥٨٩) .

(٣) البخارى (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) .

....

وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان» رواه البخاري[١].

وله من حديث أبي هريرة: «وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، يخطف الناس بأعمالهم». وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

العبور على الصراط وكيفيته:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم؛ لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه: «فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في جهنم» متفق عليه.

وفي «صحيح مسلم»[٢]: «تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا».

وفي صحيح البخاري: «حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا».

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ، ومن الأمم أمته؛ لقول النبي ﷺ: «فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم» رواه البخاري[٣].

---

(١) البخاري ٦/٢٧٠٧.

(٢) مسلم (١٩٥).

(٣) البخاري (٧٤٣٧).

والجنةُ والنارُ مخلوقتان لا تَفنيانِ ، فالجنةُ دارُ أوليائِه ، والنارُ عقابٌ لأعدائِه ، وأهلُ الجنةِ فيها مُخلَّدُون ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] .

الجنة والنار :

الجنة لغة : البستان الكثير الأشجار .

وشرعًا : الدار التى أعدها الله فى الآخرة للمتقين .

والنار لغة : معروفة .

وشرعًا : الدار التى أعدها الله فى الآخرة للكافرين .

وهما مخلوقتان الآن ؛ لقوله تعالى فى الجنة : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] . وفى النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] . والإعداد : التهيئة . ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف : « إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط أفظع منها » متفق عليه[١] .

والجنة والنار لا تفنيان ؛ لقوله : ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة: ٨] ، والآيات فى تأبيد الخلود فى الجنة كثيرة .

وأما فى النار فذكر فى ثلاثة مواضع : فى « النساء » : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩] .

وفى « الأحزاب » : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥] .

وفى « الجن » : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] .

---

(١) البخارى (٥١٩٧) ، ومسلم (٩٠٧) .

ويُؤتَى بالموتِ فى صورةِ كبْشٍ أملحَ ، ويُذْبَحُ بين الجنةِ والنارِ ، ثم يُقالُ : « يأهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتَ ، ويأهلَ النارِ خلودٌ ولا موتَ »[1] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف : ٧٤، ٧٥] .

مكان الجنة والنار :

الجنة فى أعلى عليين ؛ لقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطفِّفين: ١٨] .

وقوله ﷺ فى حديث البراء بن عازب المشهور فى قصة فتنة القبر : « فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض » .

والنار فى أسفل سافلين ؛ لقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطفِّفين: ٧] .

وقوله ﷺ فى حديث البراء بن عازب السابق : « فيقول الله تعالى : اكتبوا كتاب عبدى فى سجين فى الأرض السفلى » .

أهل الجنة وأهل النار :

أهل الجنة كل مؤمن تقى ؛ لأنهم أولياء الله ، قال الله تعالى فى الجنة : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣] . ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحَديد: ٢١] .

وأهل النار كل كافر شقى ، قال الله تعالى فى النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤] . ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ [هُود: ١٠٦] .

ذبح الموت :

الموت زوال الحياة ، وكل نفس ذائقة الموت ، وهو أمر معنوى غير محسوس بالرؤية ، ولكن الله تعالى يجعله شيئًا مرئيًا مجسمًا ويذبح بين الجنة والنار ؛ لحديث أبى

---

(١) البخارى (٤٧٣٠) .

....



سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادى منادٍ : يأهل الجنة . فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادى : يأهل النار . فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت . وكلهم قد رآه . فيذبح . ثم يقول : يأهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويأهل النار ، خلود فلا موت » . ثم قرأ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] . أخرجه البخارى فى تفسير هذه الآية ، وروى نحوه فى صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعًا[١] .

(١) البخارى (٦٥٤٨) ، ومسلم (٢٨٥٠) .

فصولٌ فى مسائلَ عقيديةٍ متفرقةٍ

٢١- ومحمدٌ رسولُ الله ﷺ خاتمُ النَّبِيِّين، وسيدُ المرسلين، لا يَصِحُّ إيمانُ

فصل فى حقوق النبى ﷺ وأصحابه

أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون. وقد ذكر الله هذه الطبقات فى كتابه فى قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النِّساء: ٦٩].

وأفضل الرسل أولو العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلوات من الله والتسليم، وقد ذكرهم الله فى موضعين من كتابه فى «الأحزاب»: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفى «الشورى»: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ [الشّورى: ١٣].

وأفضلهم محمد ﷺ؛ لقوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه[(١)]، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء، وملته أصل الملل، ثم موسى؛ لأنه أفضل أنبياء بنى إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما؛ لأن لكل منهما مزية.

(١) البخارى (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

عبدٍ حتى يُؤمِنَ برسالتِه ، ويَشهدَ بنبوتِه ، ولا يُقْضَى بينَ الناسِ فى القيامةِ إلا بشفاعتِه ، ولا يَدخُلُ الجنةَ أُمَّةٌ إلا بعدَ دخولِ أمتِه . صاحبُ لواءِ الحمدِ ، والمقامِ المحمودِ ، والحوضِ الموردِ ، وهو إمامُ النَّبِيِّين وخطيبُهم ، وصاحبُ شفاعتِهم .

خصائص النبى ﷺ :

اختص النبى ﷺ بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها :

١- خاتم النبيين ؛ لقوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

٢- سيد المرسلين وسبق دليله .

٣- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ؛ لقوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] . وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه .

٤- لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته ، وسبق دليل ذلك فى الشفاعة .

٥- سبق أمته الأمم فى دخول الجنة ؛ لعموم قوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » . وسبق .

٦- صاحب لواء الحمد ، يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته ، لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » رواه الترمذى ، وقد روى الأولى والأخيرة مسلم[(١)] .

٧- صاحب المقام المحمود ، أى : العمل الذى يحمده عليه الخالق والمخلوق ؛ لقوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] . وهذا المقام هو ما

---

(١) مسلم (٢٢٧٨) ، والترمذى ١/ ٢٨١.

٢٢- أمتُه خيرُ الأممِ ، وأصحابُه خيرُ أصحابِ الأنبياءِ عليهم السلامُ .

وأفضلُ أمتِه أبو بكرٍ الصديقُ ، ثم عمرُ الفاروقُ ، ثم عثمانُ ذو النُّورَين ، ثم عليٌّ المرتضَى ، رضى اللهُ عنهم .

يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها .

٨- صاحب الحوض المورود ، والمراد الحوض الكبير الكثير وارده ، أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبى حوضا .

٩- ١١- إمام النبيين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ؛ لحديث أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، غير فخر » . رواه الترمذى وحسنه[1] .

١٢- أمته خير الأمم ؛ لقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] . فأما قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] . فالمراد عالمو زمانهم .

فضائل الصحابة :

الصحابى : من اجتمع بالنبى ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك .

وأصحاب النبى ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء ؛ لقول النبى ﷺ : « خير الناس قرنى » . الحديث رواه البخارى[2] وغيره .

وأفضل الصحابة المهاجرون ؛ لجمعهم بين الهجرة والنصرة ، ثم الأنصار .

وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم .

---

(١) الترمذى (٣٦١٣) ، وابن ماجه (٤٣١٤) ، وأحمد ٥/ ١٣٧، والحاكم ١/ ٧١، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه .

(٢) البخارى (٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

....

فأبو بكر هو الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر من بنى تيم بن مرة بن كعب ، أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وصاحبه فى الهجرة ، ونائبه فى الصلاة والحج ، وخليفته فى أمته ، أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة : عثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، توفى فى جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن ٦٣ سنة ، وهؤلاء الخمسة مع أبى بكر ، وعلى بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة ، هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام . قاله ابن إسحاق . يعنى من الذكور بعد الرسالة .

وعمر هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بنى عدى بن كعب بن لؤى ، أسلم فى السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده . استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيدا فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة .

وعثمان هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . أسلم قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم ، كان غنيا سخيا ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيدا فى ذى الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال .

وعلى وهو أبو الحسن على بن أبى طالب ، واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب ، أول من أسلم من الغلمان ، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه ، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضى الله عنهما ، فكان هو الخليفة شرعا إلى أن قتل شهيدا فى رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة .

وأفضل هؤلاء الأربعة أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، لحديث ابن عمر رضى الله عنهما : « كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن

لِما روَى عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضى اللهُ عنهما قال : كنا نقولُ والنبيُّ ﷺ حيٌّ : أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، فيَبلغُ ذلك النبيَّ ﷺ فلا يُنْكِرُه .

وصَحَّتِ الروايةُ عن عليٍّ رضى اللهُ عنه أنه قال : خيرُ هذه الأمةِ بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثم عمرُ ، ولو شئتُ سَمَّيْتُ الثالثَ [١] .

وروَى أبو الدرداءِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « ما طَلَعَتِ الشمسُ ولا غرَبتْ بعدَ النَّبِيِّين والمرسلين على أفضلِ من أبى بكرٍ » .

وهو أحقُّ خلقِ اللهِ بالخلافةِ بعدَ النبيِّ ﷺ لفضلِه وسابقتِه ، وتقديمِ النبيِّ ﷺ له في الصلاةِ على جميعِ الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم ، وإجماعِ الصحابةِ على تقديمِه ومبــايعتِه ، ولم يَكُنِ الله ليجمعَهم على ضلالةٍ .

الخطاب ، ثم عثمان بن عفان » [٢] . رواه البخارى .

ولأبى داود [٣] : « كنا نقول ورسول الله ﷺ حى : أفضل أمة النبى ﷺ بعده أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان » . زاد الطبرانى فى رواية : « فيسمع ذلك النبى ﷺ فلا ينكره » .

هذا ولم أجد اللفظ الذى ذكره المؤلف بزيادة على بن أبى طالب .

وأحقهم بالخلافة بعد النبى ﷺ أبو بكر رضى الله عنه ؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام ، ولأن النبى ﷺ قدمه فى الصلاة ، ولأن الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة ، ثم عمر رضى الله عنه ؛ لأنه أفضل الصحابة بعد أبى بكر ، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه ، ثم عثمان رضى الله عنه لفضله ،

---

(١) ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢٩٠٤) .

(٢) البخارى (٣٦٥٥) ، وأبو داود (٤٦٢٧) ، والترمذى (٣٧٠٧) .

(٣) أبو داود (٤٦٢٨) .

ثم من بعده عمرُ رضى اللهُ عنه لفضلِه ، وعهدِ أبى بكرٍ إليه .

ثم عثمانُ رضى اللهُ عنه لتقديمِ أهلِ الشورَى له .

ثم عليٌّ رضى الله عنه لفضلِه وإجماعِ أهلِ عصرِه عليه .

وهؤلاء الخلفاءُ الراشدون والأئمة المَهْدِيُّون الذين قال النبيّ ﷺ فيهم : « عليكم بسُنَّتِى وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المَهْدِيِّين من بعدى ، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ ».

وقال ﷺ : « الخلافةُ من بعدِى ثلاثونَ سنةً »[1] . فكان آخرُها خلافةَ عليٍّ رضى اللهُ عنه .

وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون فى هذا البيت .

علـى وعثـمـان وسـعـد وطـلـحـة　　زبير وذو عوف رجال المشورة

ثم على رضى الله عنه لفضله ، وإجماع أهل عصره عليه .

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبى ﷺ : « عليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » .

وقال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » . رواه أحمد وأبو داود والترمذى . قال الألبانى : وإسناده حسن .

فكان آخرها خلافة على ، هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه ، أو لم يعتبرها حيث إنه رضى الله عنه تنازل عنها .

فخلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال ، من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ .

---

(١) أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذى (٢٢٢٦)، والنسائى (٥٢)، وأحمد ٥/٢٢١، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع .

٢٣- ونَشهدُ للعشرةِ بالجنةِ كما شهِد لهم النبيُّ ﷺ فقال: «أبو بكرٍ في

وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام ، من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣هـ .

وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما ، من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ذى الحجة سنة ٣٥هـ .

وخلافة على رضى الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر ، من ١٩ ذى الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ .

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام .

ثم بويع الحسن بن على رضى الله عنهما يوم مات أبوه على رضى الله عنه ، وفى ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبى ﷺ فى قوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » .

وقوله فى الحسن : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . رواه البخارى[(١)] .

الشهادة بالجنة أو النار :

الشهادة بالجنة أو النار ليس للعقل فيها مدخل ، فهى موقوفة على الشرع ، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له ، ومن لا فلا ، لكننا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء .

وتنقسم الشهادة بالجنة أو النار إلى قسمين عامة وخاصة .

فالعامة : هى المعلقة بالوصف ، مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه فى الجنة أو لكل كافر بأنه فى النار ، أو نحو ذلك من الأوصاف التى جعلها الشارع سببا لدخول الجنة أو النار .

---

(١) البخارى (٢٧٠٤) ، وأبو داود (٤٦٦٢) ، والترمذى (٣٧٧٣) .

الجنةِ ، وعمرُ فى الجنةِ ، وعثمانُ فى الجنةِ ، وعليٌّ فى الجنةِ ، وطلحةُ فى الجنةِ ، والزبيرُ فى الجنةِ ، وسعدٌ فى الجنةِ ، وسعيدٌ فى الجنةِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ فى الجنةِ ، وأبو عُبَيْدةَ بنُ الجراحِ فى الجنةِ »[1] .

والخاصة : هى المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه فى الجنة ، أو لشخص معين بأنه فى النار ، فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله .

المعينون من أهل الجنة :

المعينون من أهل الجنة كثيرون ومنهم : العشرة المبشرون بالجنة وخصوا بهذا الوصف لأن النبى ﷺ جمعهم فى حديث واحد فقال : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » . رواه الترمذى وصححه الألبانى .

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة ، وأما الباقون فجمعوا فى هذا البيت :

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة   وعامر فهو والزبير الممدح

فطلحة هو ابن عبيد الله من بنى تيم بن مرة ، أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، قتل يوم الجمل فى جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة .

والزبير هو ابن العوام من بنى قصى بن كلاب ، ابن عمة رسول الله ﷺ ، انصرف يوم الجمل عن قتال على فلقيه ابن جرموز فقتله فى جمادى الأولى سنة ٣٦هـ عن ٦٧ سنة .

وعبد الرحمن بن عوف من بنى زهرة بن كلاب ، توفى سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع .

---

(١) الترمذى (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣) .

وكلُّ من شهِد له النبيُّ ﷺ بالجنة شهِدنا له بها كقولِه : « الحسنُ والحسينُ سَيِّدَا شبابِ أهلِ الجنةِ »[١] .

وقولِه لثابتِ بنِ قيسٍ : « إنه من أهلِ الجنةِ »[٢] .

وسعد بن أبى وقاص ، هو ابن مالك من بنى عبد مناف ابن زهرة ، أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، مات فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢ سنة .

وسعيد بن زيد ، هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ، كان من السابقين إلى الإسلام ، توفى بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة .

أبو عبيدة هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بنى فهر ، من السابقين إلى الإسلام ، توفى فى الأردن فى طاعون عمواس سنة ١٨هـ عن ٥٨ سنة .

وممن شهد له النبى ﷺ بالجنة الحسن ، والحسين ، وثابت بن قيس .

قال النبى ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

قال ﷺ فى ثابت بن قيس : « إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة » رواه البخارى .

فالحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ، ولد فى ١٥ رمضان سنة ٣هـ ، ومات فى المدينة ودفن فى البقيع فى ربيع الأول سنة ٥٠هـ .

والحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وهو ابن على بن أبى طالب رضى الله

---

(١) الترمذى (٣٧٦٨)، وابن ماجه (١١٨)، وأحمد ٣/٣، وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٩٦) .

(٢) البخارى (٣٦١٣) ، ومسلم (١١٩).

٢٤- ولا نجزمُ لأحدٍ من أهلِ القبلةِ بجنةٍ ولا نارٍ ، إلا من جزَم له الرسولُ ﷺ ، لكنا نرجُو للمُحْسِنِ ، ونخافُ على المسيءِ .

ولا نُكَفِّرُ أحدًا من أهلِ القبلةِ بذنبٍ ، ولا نُخْرِجُه عن الإسلامِ بعملٍ .

عنه ولد فى شعبان سنة ٤هـ ، وقتل فى كربلاء فى ١٠ محرم سنة ٦١هـ .

وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى خطيب الأنصار ، قتل شهيدا يوم اليمامة سنة ١١هـ فى آخرها ، أو أول سنة ١٢هـ .

المعينون من أهل النار فى الكتاب والسنة :

من المعينين بالقرآن : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ؛ لقوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١] إلى آخر السورة .

ومن المعينين بالسنة : أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب ؛ لقول النبى ﷺ : « أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، وهو منتعل نعلين يغلى منهما دماغه » . رواه البخارى[(١)] .

ومنهم عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى ، قال النبى ﷺ : « رأيته يجر أمعاءه فى النار » . رواه البخارى وغيره[(٢)] .

تكفير أهل القبلة بالمعاصى :

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها ، لا يكفرون بفعل الكبائر ، ولا يخرجون من الإسلام بذلك ، ولا يخلدون فى النار ؛ لقوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجرَات: ٩، ١٠] . فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر ، ولو كان كفرا لانتفت الأخوة الإيمانية .

---

(١) البخارى (٦٥٦٤) ، ومسلم (٢١٢) .

(٢) البخارى (٣٥٢١) ، ومسلم (٢٨٥٦) ، وأحمد ٢/ ٣٦٦ .

ونرَى الحجَّ والجهادَ ماضيين مع طاعةِ كلِّ إمامٍ ، برًّا كان أو فاجرًا ، وصلاةُ الجمعةِ خلفَهم جائزةٌ .

قال أنسٌ : قال النبيُّ ﷺ : « ثلاثٌ من أصلِ الإيمانِ ؛ الكَفُّ عمَّن قال : لا إلهَ إلا اللهُ ، ولا نُكَفِّرُه بذنبٍ ، ولا نخرجُه من الإسلامِ بعملٍ ، والجهادُ ماضٍ منذُ بعثني اللهُ عزَّ وجلَّ حتى يُقاتِلَ آخرُ أمَّتي الدجالَ لا يُبطِلُه جورُ جائرٍ ، ولا عدلُ عادلٍ . والإيمانُ بالأقدارِ » رواه أبو داودَ[1] .

٢٥- ومن السنةِ تَوَلِّي أصحابِ رسولِ الله ﷺ ومحبتُهم ، وذكرُ محاسنِهم ،

وقال النبى ﷺ : « يقول الله تعالى : من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه » . يعنى من النار . متفق عليه[2] .

وخالف فى هذا طائفتان :

الأولى : الخوارج :

قالوا : فاعل الكبيرة كافر خالد فى النار .

الثانية : المعتزلة :

قالوا : فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر فى منزلة بين منزلتين ، وهو خالد فى النار .

ونرد على الطائفتين بما يأتى :

١- مخالفتهم نصوص الكتاب ، والسنة .

٢- مخالفتهم لإجماع السلف .

حقوق الصحابة رضى الله عنهم :

للصحابة رضى الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢) ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع .

(٢) البخارى (٢٢) ، ومسلم (١٨٤) .

والتَّرحُّمُ عليهم ، والاستغفارُ لهم ، والكفُّ عن ذكرِ مساوئِهم ، وما شجَر بينَهم ، واعتقادُ فضلِهم ، ومعرفةُ سابقتِهم .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ الآية [الفتح: ٢٩] .

وقال النبيُّ ﷺ : « لا تَسُبُّوا أحدًا مِن أصحابِى ؛ فإنَّ أحدَكم لو أنفق مثلَ أحدٍ ذهبًا ما بلَغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه »(١) .

ورسوله ، والجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وحفظ دين الله بحفظ كتابه ، وسنة رسوله ﷺ ، علما ، وعملا ، وتعليما حتى بلغوه الأمة نقيا طريا .

وقد أثنى الله عليهم فى كتابه أعظم ثناء حيث يقول فى سورة « الفتح » : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ . إلى آخر السورة .

وحمى رسول الله ﷺ حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » . متفق عليه . فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق ، فلهم على الأمة :

١- محبتهم بالقلب ، والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان .

٢- الترحم عليهم ، والاستغفار لهم ، تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] .

---

(١) البخارى (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) ، وأبو داود (٤٦٥٨) .

٢٦- ومن السُّنَّةِ التَّرَضِي عن أزواجِ رسولِ اللهِ ﷺ، أمهاتِ المؤمنين

٣- الكف عن مساوئهم التى إن صدرت عن أحد منهم فهى قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور؛ لقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابى». الحديث.

حكم سب الصحابة:

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضى كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضى عنهم، بل من شك فى كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثانى: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففى كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح فى دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب «الصارم المسلول»، ونقل عن أحمد (ص٥٧٣) قوله: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد فى الحبس حتى يموت أو يرجع».

حقوق زوجات النبى ﷺ:

زوجات النبى ﷺ، زوجاته فى الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين؛ فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، مطيبات، بريئات، مبرآت من كل سوء يقدح فى أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فرضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته ﷺ اللاتى كان فراقهن بالوفاة وهن:

١- خديجة بنت خويلد أم أولاده - ما عدا إبراهيم - تزوجها رسول الله ﷺ بعد

المُطَهَّرَاتِ المُبَرَّآتِ من كلِّ سوءٍ .

زوجين : الأول عتيق بن عابد . والثانى أبو هالة التميمى ، ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة ١٠هـ من البعثة قبل المعراج .

٢- عائشة بنت أبى بكر الصديق ، أريها ﷺ فى المنام مرتين أو ثلاثا . وقيل : هذه امرأتك . فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ، ودخل عليها فى المدينة ولها تسع سنين ، توفيت سنة ٥٨هـ .

٣- سودة بنت زمعة العامرية ، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، توفيت آخر خلافة عمر وقيل : سنة ٥٤هـ .

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تزوجها ﷺ بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذى قتل فى أحد ، وماتت سنة ٤١هـ .

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله ابن جحش فى أحد ، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير .

٦- أم سلمة هند بنت أبى أمية المخزومية ، تزوجها بعد موت زوجها أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته فى أحد ، وماتت سنة ٦١هـ .

٧- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته ﷺ ، تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ ، وماتت سنة ٢٠هـ .

٨- جويرية بنت الحارث الخزاعية ، تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل : مالك بن صفوان . سنة ٦هـ ، وماتت سنة ٥٦هـ .

٩- أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر ، هو عبيد الله بن جحش ، وماتت فى المدينة فى خلافة أخيها سنة ٤٤هـ .

١٠- صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير من ذرية هارون بن عمران عليه السلام ، أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سَلّام بن مِشْكَم . والثانى كنانة ابن أبى الحُقيق ، بعد فتح خيبر سنة ٦هـ ، وماتت سنة ٥٠هـ .

أفضلُهم خديجةُ بنتُ خويلدٍ ، وعائشةُ الصديقةُ بنتُ الصديقِ التى بَرَّأَها اللهُ فى كتابِه زوجُ النبىِّ ﷺ فى الدنيا والآخرةِ ، فمَن قذَفها بما بَرَّأها اللهُ منه فقد كفَر باللهِ العظيمِ .

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها سنة ٧هـ فى عمرة القضاء بعد زوجين : الأول ابن عبد ياليل ، والثانى أبو رهم بن عبد العزى ، بنى بها فى سرف ، وماتت فيه سنة ٥١هـ .

فهذه زوجات النبى ﷺ اللاتى كان فراقهن بالوفاة ، اثنتان توفيتا قبله وهما : خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وتسع توفى عنهن وهن البواقى .

وبقى اثنتان لم يدخل بهما ، ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما :

١- أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها النبى ﷺ ثم فارقها ، واختلف فى سبب الفراق ، فقال ابن إسحاق : إنه وجد فى كشحها بياضا ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبى أمية .

٢- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهى التى قالت : « أعوذ بالله منك » ففارقها والله أعلم .

وأفضل زوجات النبى ﷺ خديجة وعائشة رضى الله عنهما ، ولكل منهما مزية على الأخرى ، فلخديجة فى أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة ، ولعائشة فى آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ، ونفع الأمة ، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك فى سورة « النور » .

قذف أمهات المؤمنين :

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر ؛ لأنه تكذيب للقرآن .

وفى قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم : أصحهما أنه كفر ؛ لأنه قدح فى النبى ﷺ ، فإن الخبيثات للخبيثين .

ومعاويةُ خالُ المؤمنين ، وكاتبُ وحيِ اللهِ ، أحدُ خلفاءِ المسلمين رضى اللهُ عنهم .

٢٧- ومن السُّنَّةِ السمعُ والطاعةُ لأئمةِ المسلمينَ وأمراءِ المؤمنينَ بَرِّهم وفاجرِهم ما لم يَأمُرُوا بمعصيةِ اللهِ ؛ فإنَّه لا طاعةَ لأحدٍ فى معصيةِ اللهِ .

ومَن وَلِيَ الخلافةَ واجتمَع عليه الناسُ ورضُوا به ، أو غلَبهم بسيفِه حتى صار

معاوية بن أبى سفيان :

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب ، ولد قبل البعثة بخمسين سنة ، وأسلم عام الفتح وقيل : أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه ، ولاه عمر الشام واستمر عليه ، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن ابن على سنة ٤١هـ ، كان يكتب للنبى ﷺ ، ومن جملة كُتَّاب الوحى ، توفى فى رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة . وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه ، وسماه خال المؤمنين ؛ لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/٢٩٩) نزاعا بين العلماء : هل يقال لإخوة أمهات المؤمنين : أخوال المؤمنين أم لا ؟

الخلافة :

الخلافة منصب كبير ، ومسئولية عظيمة ، وهى تولى تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسئول الأول فى ذلك ، وهى فرض كفاية ؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها .

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة :

الأول : النص عليه من الخليفة السابق ، كما فى خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبى بكر رضى الله عنه .

الثانى : اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق ، كما فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، أم غير معينين ، كما فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه على

الخليفةَ ، وسُمِّيَ أميرَ المؤمنين ، وجَبت طاعتُه ، وحَرُمَتْ مخالفتُه والخروجُ عليه ، وشقُّ عصا المسلمين .

أحد الأقوال ، وكما فى خلافة على رضى الله عنه .

الثالث : القهر والغلبة كما فى خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له .

حكم طاعة الخليفة :

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة فى غير معصية الله .

لقولـــه تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّساء: ٥٩] .

ولقوله ﷺ : « السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . متفق عليه[(١)] .

وسواء كان الإمام برا ، وهو القائم بأمر الله فعلا وتركا ، أو فاجرا ، وهو الفاسق ؛ لقوله ﷺ : « ألا من ولى عليه والٍ فرآه يأتى شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة » . رواه مسلم[(٢)] .

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة ، سواء كانوا أبرارا أو فجارا ؛ لأن مخالفتهم فى ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم .

والحديث الذى ذكره المؤلف « ثلاث من أصل الإيمان ...» إلخ ضعيف كما رمز له السيوطى فى « الجامع الصغير » ، وفيه راوٍ قال المزى : إنه مجهول . وقال المنذرى فى « مختصر أبى داود » : شبه مجهول .

---

(١) البخارى (٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) .

(٢) مسلم (١٨٥٥) ، وأحمد ٦/ ٢٤، ٢٨، والدارمى ٢/ ٣٢٤.

٢٨- ومن السُّنَّةِ هجرانُ أهلِ البدعِ ، ومباينتُهم وتركُ الجدالِ والخصوماتِ فى الدينِ ، وتركُ النظرِ فى كتبِ المبتدعةِ ، والإصغاءِ إلى كلامِهم .

والثلاث الخصال المذكورة فيه هى : « الكف عمن قال : لا إله إلا الله » والثانية : « الجهاد ماض » إلخ . والثالثة : « الإيمان بالأقدار » .

والخروج على الإمام محرم :

لقول عبادة بن الصامت رضى الله عنه : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » . متفق عليه[١] .

وقال ﷺ : « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع » . قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : « لا ، ما صلوا ، لا ، ما صلوا » . أى من كره بقلبه وأنكر بقلبه . رواه مسلم[٢] .

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح ؛ لأن النبى ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح ، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة ، فدل على أن تركها مبيح لقتالهم ، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما فى حديث عبادة .

هجران أهل البدع :

الهجران مصدر هجر ، وهو لغة : الترك .

والمراد بهجران أهل البدع : الابتعاد عنهم ، وترك محبتهم ، وموالاتهم ، والسلام عليهم ، وزيارتهم ، وعيادتهم ، ونحو ذلك .

وهجران أهل البدع واجب ؛ لقوله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] . ولأن النبى ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك .

---

(١) البخارى (٧١٩٩) ، ومسلم (١٧٠٩) .

(٢) مسلم (١٨٥٤) ، وأبو داود (٤٧٦٠) .

وكلُّ محدثةٍ فى الدينِ بدعةٌ .

لكن إن كان فى مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك ، وربما يكون ذلك مطلوبا ؛ لقوله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥] . وهذا قد يكون بالمجالسة ، والمشافهة ، وقد يكون بالمراسلة ، والمكاتبة .

ومن هجر أهل البدع : ترك النظر فى كتبهم خوفا من الفتنة بها ، أو ترويجها بين الناس ، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب ؛ لقوله ﷺ فى الدجال : « من سمع به فلينأ عنه ، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه ، مما يبعث به من الشبهات » . رواه أبو داود[1] . قال الألبانى : وإسناده صحيح .

لكن إن كان الغرض من النظر فى كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به ، وكان قادرا على الرد عليهم ، بل ربما كان واجبا ؛ لأن رد البدعة واجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

الجدال والخصام فى الدين :

الجدال : مصدر جادل ، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه ، وفى « القاموس » الجدل : اللدد فى الخصومة ، والخصام : المجادلة ، فهما بمعنى واحد .

وينقسم الخصام والجدال فى الدين إلى قسمين :

الأول : أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل ، وهذا مأمور به إما وجوبا أو استحبابا بحسب الحال ؛ لقوله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ .

الثانى : أن يكون الغرض منه التعنيت ، أو الانتصار للنفس أو للباطل ، فهذا قبيح منهى عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤] .

---

(١) أبو داود (٤٣١٩) ، وأحمد ٤/ ٤٣١، والحاكم ٤/ ٥٣١ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبي ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع .

وكـلُّ مُتَّسِمٍ بغيرِ الإســلامِ والسنــةِ مبتــدعٌ ، كالرافضــةِ ، والجهميــةِ ،

وقوله : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥] .

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم :

لأهل البدع علامات منها :

١- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة ، بما يحدثونه من البدع القولية ، والفعلية ، والعقيدية .

٢- أنهم يتعصبون لآرائهم ، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم .

٣- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين .

ومن طوائفهم :

١- الرافضة :

وهم الذين يغلون فى آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة ، أو يفسقونهم ، وهم فرق شتى ، فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليا إله ، ومنهم دون ذلك .

وأول ما ظهرت بدعتهم فى خلافة على بن أبى طالب حين قال له عبد الله بن سبأ : أنت الإله . فأمر على رضى الله عنه بإحراقهم ، وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن .

ومذهبهم فى الصفات مختلف : فمنهم المشبه ، ومنهم المعطل ، ومنهم المعتدل .

وسموا رافضة ؛ لأنهم رفضوا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين سألوه عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فترحم عليهما ، فرفضوه وأبعدوا عنه .

وسموا أنفسهم شيعة ؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم فى الإمامة .

٢- الجهمية :

نسبة إلى الجهم بن صفوان الذى قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ .

مذهبهم فى الصفات التعطيل والنفى ، وفى القدر القول بالجبر ، وفى الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان ، ففاعل

والخـــوارجِ ، والقـــدريـــةِ ، والمرجئـــةِ ، والمعتـزلـــةِ ،

الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان ، فهم معطلة ، جبرية ، مرجئة ، وهم فرق كثيرة .

٣- الخوارج :

وهم الذين خرجوا لقتال على بن أبى طالب بسبب التحكيم .

مذهبهم التبرؤ من عثمان وعلى ، والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة ، وتخليده فى النار ، وهم فرق عديدة .

٤- القدرية :

وهم الذين يقولون بنفى القدر عن أفعال العبد ، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته ، وأول من أظهر القول به معبد الجهنى فى أواخر عصر الصحابة ، تلقاه عن رجل مجوسى فى البصرة .

وهم فرقتان غلاة ، وغير غلاة :

فالغلاة : ينكرون علم الله ، وإرادته ، وقدرته ، وخلقه لأفعال العبد ، وهؤلاء انقرضوا أو كادوا .

وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد ، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله ، وقدرته ، وخلقه ، وهو الذى استقر عليه مذهبهم .

٥- المرجئة :

وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان ، أى تأخيره عنه ، فليس العمل عندهم من الإيمان ، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب ؛ فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصى أو ترك ما ترك من الطاعات ، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل ، وهذا مذهب الجهمية ، وهو مع مذهب الخوارج على طرفى نقيض .

٦- المعتزلة :

أتباع واصل بن عطاء الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى ، وقرر أن الفاسق فى

والكرّاميةِ ، والسَّالميةِ ، والكَلاميَّةِ ، ونُظَرَائِهِمْ ، فهذه فرقُ الضلالِ ، وطوائفُ البدعِ ، أعاذنا اللهُ منها .

٢٩- وأما النسبةِ إلى إمامٍ فى فروعِ الدِّين كالطوائفِ الأربعِ فليسَ بمذمومٍ ؛

منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر ، وهو مخلد فى النار ، وتابعه فى ذلك عمرو بن عبيد .

ومذهبهم فى الصفات التعطيل كالجهمية ، وفى القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد ، وفى فاعل الكبيرة أنه مخلد فى النار وخارج من الإيمان فى منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر ، وهم عكس الجهمية فى هذين الأصلين .

٧- الكرامية :

أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء ، وهم طوائف متعددة .

٨- السالمية :

أتباع رجل يقال له : ابن سالم ، يقولون بالتشبيه .

وهذه هى الطوائف التى ذكرها المؤلف ثم قال : ونظرائهم . مثل الأشعرية أتباع أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، كان فى أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره ، ثم أعلن توبته من ذلك ، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله ، أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعا ، زعموا أن العقل دل عليها ويئولون ما عداها ، وهى المذكورة فى هذا البيت :

حى عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى فى معنى الكلام والقدر وغير ذلك .

الخلاف فى الفروع :

الفروع : جمع فرع ، وهو لغة : ما بُنى على غيره .

واصطلاحا : ما لا يتعلق بالعقائد ، كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها .

فإنَّ الاختلافَ فى الفروعِ رحمةٌ ، والمختلفون فيه مَحمودون فى اختلافِهم مُثابون فى اجتهادِهم ، واختلافُهم رحمةٌ واسعةٌ ، واتفاقُهم حجةٌ قاطعةٌ .

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادرا عن نية خالصة واجتهاد ، لا عن هوى وتعصب ، لأنه وقع فى عهد النبى ﷺ ، ولم ينكره حيث قال فى غزوة بنى قريظة : « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » . فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بنى قريظة ، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت ، ولم ينكر النبى ﷺ على واحد منهم . رواه البخارى[١] .

ولأن الاختلاف فيها موجود فى الصحابة وهم خير القرون ، ولأنه لا يورث عداوة ، ولا بغضاء ، ولا تفرق كلمة ، بخلاف الاختلاف فى الأصول .

وقول المؤلف : « المختلفون فيه محمودون فى اختلافهم » ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه ، وإنما المراد به نفى الذم عنه ، وأن كل واحد محمود على ما قال ؛ لأنه مجتهد فيه مريد للحق ، فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق .

وقوله : « إن الاختلاف فى الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة » ، أى داخل فى رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم ، فليس عليهم حرج فى هذا الاختلاف ، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه ، إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد .

الإجماع وحكمه :

الإجماع لغة : العزم والاتفاق .

واصطلاحا : اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعى بعد النبى ﷺ .

---

(١) البخارى (٩٤٦) ، ومسلم (١٧٧٠) .

نسألُ اللهَ أن يَعصِمَنا من البدعِ والفتنةِ ، ويُحْيِينا على الإسلامِ والسنةِ ، ويَجعلَنا ممَّن يَتَّبعُ رسولَ اللهِ ﷺ فى الحياةِ ، ويَحشُرَنا فى زمرتِه بعدَ المماتِ برحمتِه وفضلِه ، آمينَ .

وهو حجة ؛ لقوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] . وقول النبى ﷺ : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » . رواه الترمذى(١) .

التقليد :

التقليد لغة : وضع القلادة فى العنق .

واصطلاحا : اتباع قول الغير بلا حجة .

وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه ؛ لقوله تعالى : ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] .

والمذاهب المشهورة أربعة :

المذهب الحنفى : وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق ، ولد سنة ٨٠هـ ، وتوفى سنة ١٥٠هـ .

المالكى : وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، ولد سنة ٩٣هـ ، وتوفى سنة ١٧٩هـ .

الشافعى : وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، ولد سنة ١٥٠هـ ، وتوفى سنة ٢٠٤هـ .

الحنبلى : وإمامه أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، ولد سنة ١٦٤هـ ، وتوفى سنة ٢٤١هـ .

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية ، والزيدية ، والسفيانية ، وغيرهم .

وكل يؤخذ من قوله ما كان صوابا ، ويترك من قوله ما كان خطأ ، ولا عصمة إلا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) الترمذى (٢١٦٧) .

وهذا آخرُ المعتقدِ .

والحمدُ للهِ وحدَه ، وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِه وسلَّم تسليمًا .

***

فرغ من تعليقها الفقير عمر بن غازى بن على المقدسى الحنبلى ، عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين ، فى ليلة السابع من شهر رجب الفرد سنة خمس وسبعين وسبعمائة أحسن الله تقضيها بمدينة دمشق .



نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهرا وباطنا ، وأن يتوفانا على ذلك ، وأن يتولانا فى الدنيا والآخرة ، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

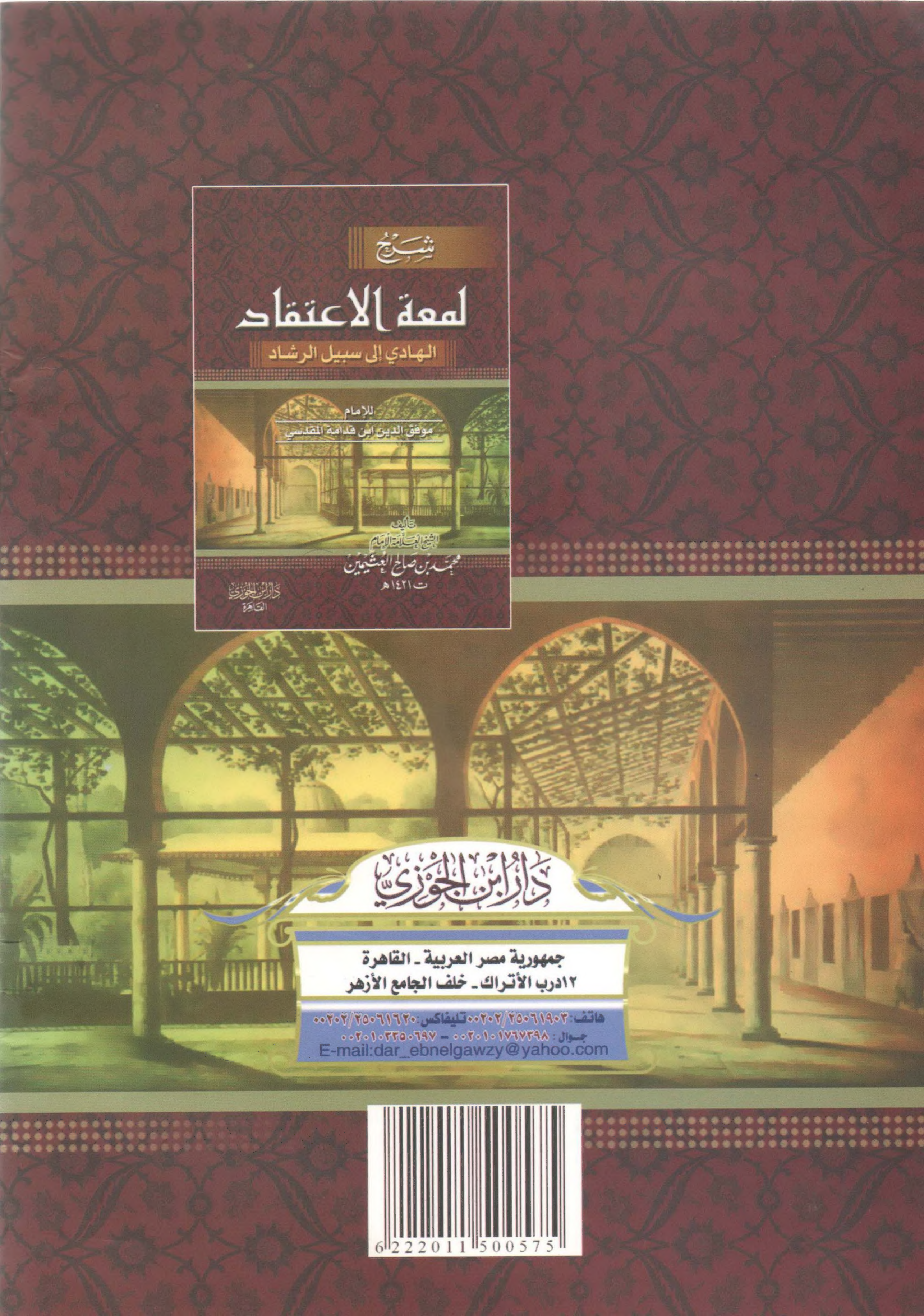
والحمد لله كثيرا ، كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغى لكرم وجهه ، وعز جلاله ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

تم فى عصر الجمعة الموافق ١٣٩٢/١/١٠هـ .

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله تعالى
محمد بن صالح العثيمين

فهرس الكتاب

الموضوع الصفحة


شرح
لمعة الاعتقاد
الهادي إلى سبيل الرشاد
للإمام
موفق الدين ابن قدامة المقدسي
تأليف
الشيخ العلامة الإمام
محمد بن صالح العثيمين
ت ١٤٢١ هـ
دار ابن الجوزي
القاهرة
دار ابن الجوزي
جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٩٠٣ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٦٢٠
جوال: ٠٠٢٠١٠١٧٦٧٣٩٨ - ٠٠٢٠١٠٣٣٥٠٦٩٧
E-mail:dar_ebnelgawzy@yahoo.com
6 222011 500575